المشرق

بُرْتقال صيداء

لجناب الاديب توما افندي كَيّال

قد اشتهرت مدينة صيداء من قديم الزمن بمحصولات اراضيها الكثيرة وباثمارها اللذيذة المختلفة الاجناس الكثيرة العدد المفضَّلة على ما سواها والمرغوبة من سكّان المدن السوريّة والاوربيّة نظرًا للذيذ طعمها وحسن هيئتها ورونقها وطول مدّتها. صفاتٌ خصَّ بها المولى اثمار هذه المدينة القديمة العهد فاغناها بعد مجدها السابق بمحصولات يتفاخر بها كل من رآها وتمتّع بها

هيَّا بنا ايها القارئ الكريم ندخل معًا احد بساتين هذه المدينة ونتجوَّل به قصد التنزُّه باحثين في الوقت ذاته عن انواع الثمار الموجودة في ذلك البستان الواسع الارجاء المغروس به من الاشجار القديمة والحديثة العهد ما لا يفي به احصاء من برتقال ورمّان وخوخ وموز وتفّاح ومشمش ولوز واجاص وتوت وانكدونيا ودرّاق واثمار أُخرى متعددة لا يسعنا المقام سردها بالتمام. ولا غرو ايها القارئ اللبيب ان يأخذك العجب والاندهاش لدى رؤياك هذه الاشجار في هذا الفصل البديع فتتحقَّق بالعيان ما طالما سمعتهُ عن بساتين صيداء وفواكهها اللذيذة

هذا وانَّ بين هذه مواهب الطبيعة ثمرًا يتباهى به الصيداويُّون اذ عليه مدار تجارتهم ومعاش القسم الاكبر من اهالي مدينتهم ألا وهو البرتقال عوَّلتُ على ان اشرح لك مفصَّلًا عمَّا تهمُّك معرفتهُ من زرعهِ وتطعيمهِ وانواعهِ ومنافعه آخذًا هذه

التعليمات من اوثق المصادر علّها تحرّك بك الشوق لزيارة مدينتنا باقرب وقت فتكون مطامًا حينئذٍ على ايضاحات وافية بهذا الخصوص يصعب عليك معرفتها بالبحث الشخصيّ الطويل والتنقيب عن حقائقها

١ تاريخ زرع البرتقال في صيداء

يتناقل بعض المسنّين في مدينتنا حديثًا عن ابائهم واجدادهم به يزعمون ان اول بزر من البرتقال زُرع في بساتين صيداء أُخذ من بعض السيّاح المالطيين . وهاك ما سمعتهُ منهم اسردهُ بحروفهِ . رسا في مرفإ صيداء في اواسط الجيل السابع عشر مركب شراعي يقلّ عددًا من نخبة اهالي جزيرة مالطة وجهتهم زيارة الاراضي المقدَّسة . ولاشتهار صيداء بالآثار الفينيقية احبُّوا ان يصرفوا فيها بضعة ايام وكانوا يقصدون غالبًا الجهة القريبة من البحر المعروفة بالسبع العيون فهنالك كانت تقرّ ابصارهم برأى مناظر تلك البقعة البديعة التي تفوق الاماكن المجاورة من البلدة من حيث عذوبة مياهها وحسن موقعها . وكان سكان تلك المحلاَّت يتردّدون على السياح المذكورين ويقدمون لهم ما لاق من الاكرام والخدَم . ففي احد الأيام اهدى كبير السياح لمواطنينا ثمرًا فاخرًا ذا رائحة عطريَّة وطعم لذيذ فشكروا افضالهُ وطلبوا منهُ بعض ايضاحات متعلقة بزرع بزر هذا الثمر المدعو البرتقال فلم يبخل عليهم بها فحفظوا بزور تلك البرتقالات التي أُهدوها وزرعوها في بساتينهم فاقبلت بعد سنوات قليلة وزكت ونمت نموًّا عظيمًا ولم تزل الشجرات المذكورة على ما سمعتهُ من الكثيرين باقية حتى يومنا تحمل اثمارًا (١) . ثم صارت الغيرة تحرك اصحاب الارزاق شيئًا فشيئًا لزرع هذا الصنف في املاكهم فحصلت صيداء من ذلك الوقت على بساتين مهمة يضرب المثل بأُترنجها سواء كان في البلاد الشامية او الاجنبيَّة

---

١) (المشرق) اذا صحَّ هذا القول لا يكون البرتقال قديمًا في صيداء. ولعلَّ مراد الكاتب احد انواع البرتقال فقط وما لا شبهة فيهِ انَّ طرابلس اشتهرت ببرتقالها منذ القرن الحادي عشر للمسيح كما ذكر ذلك ناصر خسرو في سفرهِ الى الشام . ولعلَّ الفرنج تعلَّموا زرع البرتقال من اهل الشرق

٢ كيفية زرع البرتقال (١

توفّق الزارع الصيداوي بعد اختباراته العديدة الى انتخاب بزر الصُفير وتفضيل زرعه على سائر البزور نظرًا لجودته وحسن اقباله وقد ثبت له بان الشهر الاكثر موافقةً لذلك هو شهر اذار وهاك كيفية زرعه: خذ كمية من الصفير وذرّها في المغرس (المسكب) المعين لها وليكن المحل معرضًا للشمس وتربته خالية على قدر الامكان من الحصى وكثير السماد فتنبت بعد شهرين من زرعها وعلى الاقل ٤٥ يومًا فدعها تنمو في مغرسها مدّة سنتين ثم انقلها باعتناء الى مغرس آخر اكثر اتساعًا وافرز بعضها عن بعض وأبقها سنتين كذلك الّا انهُ اذا كانت ملاحظة النصب وسقية قانونيًا مع وجوده في تربة رمليّة ربّما نما في ثلاث سنوات بدلًا من الاربع. واخيرًا انقل الاغراس افرادًا الى المحلات المعينة لزرعها واغرسها بحيث تبعد كل واحدة عن الثانية اربعة امتار تقريبًا واتركها على هذه الصورة مدّة ٢٢ او ٢٣ شهرًا وبعد ذلك تطعمها بالجنس الذي تحبه من البرتقال كالليمون الحامض وجنس يوسف افندي. لكن اذا زرعت بزرًا من نوع البرتقال البزري فلا لزوم لتطعيمه لانهُ يبقى على اصله فتنبت منهُ اشجار بزرية. امّا باقي اجناس البرتقال فاذا زُرعت بزورها رجعت الى اصلها الذي أُخذت منهُ اولًا وهو الصُفير فلذا يلزم تطعيمها

٣ كيفية التطعيم

لا يجوز التطعيم الّا في فصلي الخريف والربيع وهاك كيفيته: خذ قسية (رقعة) من شجرة البرتقال وافتح لها شقًّا على قدرها في مطعوم (شجيرة) الصُفير وأحكم ربطها بقشرة من التوت او الموز ودعها كذلك ثلاثة اسابيع كاملة ثم ارفع الرباط المذكور وبعد ذلك بعشرة أيّام اقطع (جمّ) الغصن فوق رقعة التطعيم بنحو ٧ سنتيمترات وضع في الحال في اعلى المحل المجموم ترابًا رطبًا على قدر اللزوم خوفًا من حرارة الشمس فترى بعد مضي ١٠ أيام او ١٢ يومًا فرخًا خارجًا من الجهة المطعمة فيلزم وتتنذ مداراته وربطهُ بسلخة (شلة) كي لا ينسلخ عن امهِ بل يبقى مرتبطًا بها فينمو تدريجًا ويبقى على حالة نموه هذه مدّة ٢٥ شهرًا يمكنك بعد انقضائها ان تجني من اثماره اللذيذة التي

١) اخذنا الافادات المتعلقة بزرع البرتقال وتطعيمه واجناسه من جناب عمر افندي الشريف.

تنفيسك اتعابك باسرها . امَّا التعطيم في الخريف فانهُ يكون اساسٌ للتطعيم الربيعي المعوَّل عليهِ فلذا لا يُجمّ في الخريف بل يبقى وديعاً للربيع

٤ الكمّية التي تحملها شجرة البرتقال

ان شجرة البرتقال تحمل في السنة الثالثة من تطعيمها (اي الاولى من حملها) من عشر ثمرات الى عشرين ثمرة وفي الرابعة اربعين وفي الخامسة مئة وهكذا تدريجاً الى ان يبلغ معظم حملها ١٠٠٠ برتقالة سنويًا لكنهُ يوجد بعض اشجار من البرتقال التي يبلغ حمل الواحدة منها الفي ثمرة وغيرها ٣٠٠٠ ولعلَّ بعضها يناهز ٥٠٠٠ واذا نظرت حينئذٍ الى هذه الاشجار تراها حاملة هذه الكميَّة المهمَّة من الاثمار وهي رافعة اغصانها الكثيفة بافتخار يتلاعب النسيم بين اوراقها الواسعة وهي لا تبدي حراكاً كأنها طودٌ شامخ تتجه اليها اعين الناظر فيسبّح الخالق ويشكرهُ على نعمهِ الغزيرة التي منَّ بها على الانسان

٥ الاراضي الصالحة لزرع البرتقال وكيفية سقيها (١

ان تربة بساتين صيداء قد أُحكمت فلاحتها ونظفت من الحصى فلذا تراها على وجه العموم صالحةً لزرع شجر البرتقال وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام منها اراضٍ رمليَّة ومنها حمراء ومنها سوداء امَّا الاراضي البيضاء فغير صالحة لذلك لانها لا تطلب ماء.

١ً فالرمليَّة هي الاراضي المجاورة للبحر تصلح جدًّا لهذا الصنف وبرتقالها فاخر طيب يعطي ثمرًا قبل باقي اشجار البرتقال الَّا انهُ اذا بقيت اثمارهُ على الاشجار مدَّة طويلة ييبس فذهبت طراءتهُ ولا لذَّة لآكلهِ . امَّا سقيهِ ففي كل ثمانية ايام مرَّة واحدة اعتبارًا من اوَّل حزيران الى آخر تشرين الاول وعلى البستاني ملاحظة مسئلة السقي خاصةً في شهري تموز وآب

٢ً الاراضي الحمراء هي اراضٍ متوسطة تصلح للبرتقال لكنها ليست كالاولى من حيث التربة واثمارها من الدرجة الثانيــة نظرًا للطعم ولطول مدَّة الاقامة ويلزم سقيها مرةً في كلّ عشرة ايام

١) ان البلاد التي يكثر فيها تساقط الثلوج لا تصلح اراضيها اصلًا لزرع هــذا الصنف لان الثلج والبرد الشديد يضرّان بنموه

٣ الاراضي السوداء كثيرة في ستي صيداء. واشجارها تحمل حملاً وافراً واثمارها لذيذة غاية في الحلاوة يمكن تركها على الاشجار الى منتهى حزيران يُنقل منها الكثير الى الخارج ومدخولها ليس بقليل الّا انهُ يلزمها اعتناء. ومصاريف وافرة وهي تُسقى مرَّة واحدة كل ١٥ يوماً .

٦ اجناس البرتقال

تعدَّدت اجناس البرتقال وكثرت انواعهُ لكن يمكن حصره في ١٢ جنساً لكل واحد منها ايضاً اقسام مختلفة وهي هذه :

١ (المالطي) هذا هو الجنس الاصلي الذي منهُ أُخذت البزور وصارت على تمادي الأيام وتمييز التطعيم واختلاف الاراضي تتنوَّع اشكالهُ وصفاتهُ . ثمرهُ مستدير واسع لا نُكتة (طبعة) لهُ في اسفله . امَّا شجرهُ فقد اصبح نادراً ولعلَّ صنفهُ يفنى بعد بضع سنوات ولا يبقى منهُ في بساتين صيداء . واحسن اثماره ما كان به نُكتة بيضاء والاهالي تطلق عليه الآن اسم البزري

٢ (البزري) سمي كذلك لكثرة بزره وهو ذو شكل مستدير كبير الحجم ويكون على نوعين بلدي وماوردي وكلاهما يُعدُّ من احسن اجناس البرتقال فهو لذيذ الطعم فاخر طويل الاقامة تبقى اثماره على الشجر حتى اوائل نيسان . زرعهُ مرغوب جدًّا نظراً لوفرة حمله وكثرة ايراده

٣ (البلدي) وهو على ثلاثة انواع ناعم وماوردي وخشن . الاوَّل ما كانت قشرتهُ ملساء ناعمة وهو مفضل على النوعين الآخرين . والماوردي دون الاوَّل في الطعم لكنهُ ذو شكل بديع يتوق لرؤياه الناظر . امَّا الخشن فقشرتهُ غليظة به كثير من اللب واصحاب الاملاك يقلعون منهُ كثيراً لانهُ لا طلب عليه من الخارج ويستعيضونه باشجار من البلدي الناعم وعمَّا قليل لا يعود لهُ اثر ما بين باقي الاشجار

٤ (الشَمُوطي) هو برتقال طويل ذو قشرة رقيقة ثمره لذيذ الطعم واشجاره تأتي باثمارها قبل بقية اجناس البرتقال . وهو على ثلاثة انواع بلدي وماوردي ويافاوي فالبلدي ثمره مائي طيب الذوق يرسل منهُ في اوائل الخريف قسم وافر الى بلاد الانكليز على مراكب شركة برنس لين فيصلها سالماً من دون ان يلحق به ضرر البتة . والماوردي

اشجاره قليلة لكن اثماره لذيذة للغاية لاسيما اذا أبقيت الى اواخر الشتاء . امّا اليافاوي فأصل طعمه من يافا اثماره ناشفة جدًا لا لذة له ولا طراوة حتى لو قطعت الثمرة الواحدة اجزاء متعددة لا يسقط منها نقطة ماء. فلذا اهالي يافا يسمون برتقالهم هذا ببرتقال السيدات لان الآكل منه لا تتسخ يداه بل تبقيان نظيفتين على الاطلاق

٥ (الخشخلي) سُمّي كذلك لانه يُنظر في اسفله طبعة مستديرة اشبه بالختم وهو على نوعين بلدي وشموطي وهذا البرتقال مائي كثير الحلاوة يفضّل اهل الثغر اكله على غيره . امّا الوقت المناسب لقطفه وللتناول منه فهو في شهري كانون الثاني وشباط

٦ (الماوردي) لون هذا الجنس من البرتقال احمر على شبه لون الورد ممسك الرائحة مائي بديع الشكل يحمرّ في اواسط الشتاء . لكن اذا بقي على الشجر الى نيسان يرجع فيبيضّ . واذا تركت بضع برتقالات منه في حجرة محكمة القفل مدة خمسة أيام ثم فتحتها بعد ذلك انبعثت للحال منها رائحة عطرية تبقى منتشرة مدة طويلة في ذلك المحل . وهذا هو افخر اجناس البرتقال الصيداوي يشعر الآكل منه بحلاوة لذيذة لا تعادلها حلاوة وبطعم ممسك لا يعرف قدره الّا من ذاقه اذا وُضع على موائد الملوك والامراء يكون له المقام الاول ما بين سائر الفواكه فلا يملّ الناظر من رؤياه لما صبغته به الطبيعة من الحمرة القانئة . ويرسل منه قسم كبير الى الاستانة العليّة والى بلاد الانكليز والى جهات أخر من سورية كبيروت والشام وخلافهما . وهو ايضًا على ثلاثة انواع بلدي وشموطي وساقصلي

٧ (السُكّري) هذا الجنس دون باقي اجناس البرتقال سواء كان في الطعم او في طول الاقامة لا طلب عليه من الخارج واشجاره قليلة وزرعه غير مرغوب

٨ (يوسف افندي mandarine) كثر في مدينتنا تطعيم اشجار الصنير بطعم يوسف افندي في هذه السنين الاخيرة نظرًا لرواج سوقه وهو على نوعين بلدي وماوردي وهو ذو طعم لذيذ احسن انواعه ما كان رقيق القشرة قليل البزر تحمل الشجرة الواحدة منه من ٥٠٠ الى ٩٠٠ ثمرة ومعظم حملها الفي ثمرة يزكو زرعه كثيرًا في الجهات القريبة

من النهر الاولي ويصلح للاكل في اواسط الشتاء ويفضّلهُ البعض على البرتقال من حيث سهولة هضمه ولجمعه بين الحلاوة والحموضة

٩ (الهندي) هذا الجنس يصلح فقط للمربى حملهُ قليل ولونهُ ضارب الى الصفرة يبقى على طراوته زمناً طويلاً بعد قطفه وهو كبير الحجم مستدير وهو على نوعين ايضاً شموطي وبلدي والاول مفضّل على الثاني

١٠ (الحلو) هو شكل واحد احسنهُ ما زُرع في ارض ترابية سوداء وقد كان زرعهُ مستحباً في بساتين صيداء الّا انهُ منذ عهد ثلاثين سنة قلَّ الاقبال عليه من الخارج فأخذ اصحاب الاملاك يقلعونهُ فقُلع اكثر من نصف اشجاره واستُبدلت باصناف أُخرى من البرتقال مع ان هذا الجنس غاية في الحلاوة والمنفعة كان الاهلون يطلقون عليه اسم باترهر

١١ (الحامض) يوجد من هذا الجنس في صيداء في اي وقت طلبتهُ ويباع باسعار بخسة للغاية في الشتاء ثم يتعالى سعرهُ قليلاً في الصيف. اذا قُطفت اثمارهُ وهي خضراء تبقى محفوظة مدّة طويلة وهو على نوعين مغازلي ومراكبي ويصدر من الاول كميّات وافرة الى الاستانة العليّة والى اودسا والقطر المصري

١٢ (الكبّاد) وهو على نوعين بلدي وشامي فالبلدي مفضّلٌ على النوع الثاني يستعمل للمربيات

٧ آفة البرتقال (الضربة)

في اواسط شباط سنة ١٨٧٩ كان الشتاء شديداً جداً اشبه بشتاء سنتنا الحالية فانحدرت الثلوج بغزارة قويّة وقرس البرد كثيراً الى ان هبطت درجة ميزان الحرارة الى تحت الصفر وكان اذ ذاك علوُّ الثلج المتساقط في صيداء وما يجاورها اكثر من ذراع فتضرَّرت من جرائه المزروعات ويبس قسم من الاشجار كاللوز والمشمش والبرتقال. وفي السنة التالية اصاب اشجار البرتقال آفة اترلت باصحاب الاملاك اضراراً فادحة وجعلت مداخيل اراضيهم لا تقوم بمصاريفها. فلمّا رأت الحكومة السنية ما حلَّ من الخسائر العظيمة بالملاكين الصيداويين ارسلت من قبلها معتمدين ترافقهم لجان طبيَّة للبحث عن هذه الآفة واخذ التحوّطات لمنع سريانها الى الاشجار السليمة. فبعد الفحص المدقّق قرَّروا استعمال الوسائط الآتية لإتلافها وهي ان تطلى الاشجار المضروبة

بمزيج من عصير التبغ او التنباك او البترول او بمحاول من كبريتات الحديد او النحاس او بالبترول والماء مع قليل من الصابون المذوَّب . لكن بعد الامتحانات العديدة لم تأتِ هذه الادوية بالنتيجة المطلوبة وناهيك عن المصاريف التي تكبَّدها الملاكون بأدوية أُخرى لم يحصل منها كذلك فائدة البتة الى ان ثبت لهم اخيرًا بان التقلبات الجوية هي وحدها قادرة على ابادة هذه الآفة تدريجًا . امَّا سببها فهو مكروب رمادي اللون يتسلط على الشجرة فيضرب اثمارها ويعدمها رونقها وهو يختفي في جذع الشجرة ويسري سمُّهُ الى الاغصان ومنها الى الثمر ولا يبارحها قبل ان يفتك بها فتكًا مريعًا حتى يعدمها النمو وفي النهاية لا تعود الشجرة تصلح الَّا للنار . ولله الحمد قد خفَّت وطأة هذا الداء منذ ثماني سنوات والأمل بان يزول تمامًا عمَّا قريب تاركًا للملاكين شاهدًا على سوء عمله بما خلَّف من آثار الخراب في بساتينهم

٨ الاضرار التي تلحق بأشجار البرتقال

ان شجرة البرتقال اذا اعتنى ارباب الفلاحة بامر زرعها وسقيها قانونيًا تعيش فوق ٢٥٠ سنة لانهُ لم تزل حتى يومنا باقية الاشجار التي زرعت اولًا في مدينتنا وهي اليوم في حالة مرضية تحمل ثمرًا امَّا الاحتياطات التي يلزم اتخاذها لمداراة البرتقال فهي اولًا رفع جدران البساتين المطلة على الطريق لان الغبار المتصاعد منها يؤذي الاشجار المزروعة على الجوانب فلذا لوحظ بان الاشجار المتطرفة تعيش اقل جدًا من المغروسة في الداخل واثمارها صغير الحجم . ثانيًا الاعتناء بسقيها قانونيًا حسب نوع الاراضي كما بيَّنا ذلك آنفًا . ثالثًا عدم زرع البقول والخضرة بين الاشجار لانهُ يؤخر نموها ويقلّل حملها وسببه كثرة المياه التي تلزم للخضر في كل يوم من أيام القيظ خلافًا للبرتقال الذي لا يلزم سقيه الَّا قانونيًا . رابعًا فرش السماد على قدر لزوم الاراضي في أيَّام الخريف

٩ منافع البرتقال

سل أَيها القاري اللبيب المسافرين الى صيداء برًّا او بحرًا في هذا الفصل الربيعي عن الروائح العطرية المنبعثة من بساتين مدينتنا فيجيبوك انهم يتنعشون بشذاها قبل وصولهم الى صيداء باربع ساعات وكلما اقتربوا من المدينة تزداد روائح الزهر الزكيَّة فتنشط قواهم خصوصًا عند الصباح فيصبح مستنشقها ثملًا مدَّة ذلك النهار منشرح

الصدر خالي البال منتعشاً من عرفها اللذيذ. وفي هذه الأيام البديعة تتسابق الاهالي زرافات زرافات قبل بزوغ الفجر للنيروز فتقضي بضع ساعات خارج البلدة متمتعة باطيب الروائح واذكاها فتدخل البساتين وتقطف من ازهار الصفير والبرتقال وتجمع منها ما لذَّ لها وطاب وتحضرها الى منازلها وتحفظها في قاعات الاستقبال فيتعطَّر المكان من رائحتها حتى يخال للداخل اليه انهُ في جنَّة غنَّاء. لكن حذار من ابقائها مدة طويلة في قاعات النوم ام تركها بها ليلًا لان عَرْفها القوي يضرُّ بالنائم فتتخدَّر اعضاؤُهُ ويشعر عند استيقاظه بارتخاء في جسمهِ ربَّما تولَّد لهُ منهُ ضعف شديد

ويكثر في شهري شباط واذار الاقبال على زهر الصُّفير لان الاهالي تستخلص منهُ ماء فوائدهُ معروفة شائعة في البلاد السوريَّة وخلافها وها انَّنا نلخص في هذه المقالة بعضها: ان ماء الزهر ينتفع به المصابون بالقبض والمرضَون لاوجاع المعدة. وكذلك يفيد افادة جزيلة لشفاء الصداع والداء المسبب من تلبُّك المعدة فاذا تناول المصاب من هذه خلاصة الزهر مقدار فنجان صباحاً قبل الاكل ممزوجاً بقدح ماء بارد على مدَّة عشرة أيام متوالية شفي من سقمهِ الشفاء التام. واذا ادنيتَ من فم المَغْشيِّ عليهِ قليلًا من هذا ماء الزهر ينتعش حالًا ويهدأ خفقان قلبه ويُسرِّي عنهُ وانكشف كربهُ.

امَّا الحلويات على اختلاف اجناسها فانَّها اذا مُزجت بشيء من هذا الماء تحسن طعمها واكتسبت رائحة ذكية تجلب للمتناول منها القابليَّة. ولماء الزهر ايضاً فعلٌ في التشنجات العصبية. وقد اصطلح الاطباء على صنع صبغة من قشر الصُّفير غاية في الافادة يضيفونها الى بعض من الادوية بصورة شراب فيقبلها المريض اذ ذاك بطيبة خاطر ويُسرّ بطعمها ويداوم على شربها بالرضى. واطباء مدينتنا يصفون للمرضى بالحُميات الثقيلة مصَّ البرتقال لان منهُ تترطب المعدة وتتخفف اوجاعها. وقد افادنا الثقة ان اطباء لندن وليفربول يصفون في بعض الاوقات البرتقال الصيداوي لمرضاهم. وقد جرَّب الكثيرون من مواطنينا ورق الصُّفير المُغلى فوجدوا منهُ فوائد عظيمة للمصابين باوجاع المعدة المزمنة

امَّا منفعتهُ لاهالي صيداء عموماً فهي ظاهرة للعيان اذ انهُ منذ ابتداء موسم البرتقال الى حدِّ نهايتهِ قلَّما ترى اعراضاً شديدة في مدينتنا خاصَّة بين القاطنين في البساتين. وقد اكَّد لنا كثير منهم بان الذين يكونون مصابين بامراض في الصيف تزول

عنهم تماماً في الشتاء والربيع لمداومتهم على اكل البرتقال. وقد اعتاد الاهلون حفظ قشر البرتقال فييبّسونهُ حتى اذا اوقدوا ناراً في الشتاء وخافوا مضرَّة رائحة الفحم وضعوا منهُ قليلاً في النار فتنبعث منهُ في الحجرة رائحة عطريَّة تبطل اذى الفحم. والاطباء يدخلون قشر البرتقال في تركيب بعض الادوية وهو ذو فائدة كبرى اذا غُلي منهُ قليلاً وتناولهُ المصاب باوجاع الراس فيتخفف الألم عنهُ تدريجاً. والمعامل الاوربيَّة المشتهرة باستخراج العطور المختلفة الاجناس تفضّل البرتقال الصيداوي على غيره وتستخرج من القشر ماء عطريًّا لهُ المقام الاول ما بين الطيوب الاوربيَّة

١٠ الشرابات التي تصنع من البرتقال

احبُّ قبل ختام هذا الموضوع ان تقف ايها القارئ الكريم على صنع بعض الشرابات والمربّيات من البرتقال والصُّفير كي تنشأ فيك الرغبة في زرع هذا الصنف المهم فتغني به ارضك نظراً لمنافعه العديدة

(شراب البرتقال) ذوّب مقدار رطل سكر على النار في قليل من الماء ودعهُ يبرد ثم اعصر عشرين برتقالة وامزج عصيرها المصفّى مع القطر (السكّر) وحركهُ قليلاً. اخيرًا حفّ (ابرش) قشر برتقالتين واعصرهما بخرقة نظيفة وما استخرج منهما تضعهُ للشراب المذكور واختم الزجاجة التي تودعها هذا الشراب ختماً محكماً وعندما ترغب التناول منهُ خذ مقدار فنجان ونصف لكل قدح من الماء وحرّكهُ قليلاً واشرب هنيئاً مريئاً فيترطب منك الفؤاد ويبتعد عنك العناء اذا كنت قادماً من سفر طويل او مصاباً بالم في المعدة. وقد اصطلح اهالي الثغر تقديم هذا الشراب لزائرهم صيفاً

(شراب الصُّفير) ان شراب الصفير يُعمل كشراب البرتقال الّا انهُ عند عصر كل ليمونة منهُ يلزمك غسل يديك وتنظيف السكين لئلا يمرّ طعمهُ وضع لرطل السكر ١٢ ليمونة عوضاً عن عشرين. وهذا الشراب ينتفع بهِ كثيرًا المصابون بالدوران او بانقباض الصدر خصوصاً اذا شُرب صباحاً

(شراب الحامض) ان هذا الشراب يُعمل كشراب البرتقال ايضاً الّا انهُ لرطل من القطر اعصر فقط ثماني حبات ولا تضف هذا العصير مع القطر الّا بعد ان يبرد تماماً لئلا تصير طعمتهُ حامضة ولهذا الشراب افادة كبيرة للمصابين بالاسهال وللمعرضين لاوجاع المعدة

١١ المربَّات

(مربَّى زهر الصُّنير) ان اردت عمل هذا المربَّى اقصد صباحاً بستاناً يكثر فيه هذا الجنس وانتخب الزهر المفتح واجمع احسنهُ واحضرهُ لمنزلك ونقِّ الورق فقط دون الزهرة الداخليَّة وانقعهُ في الماء مقدار ساعة ثم اجماهُ في ماء غالٍ واتركهُ على النار يستوي تماماً ثم صَفِّهِ حسناً وضعهُ في عصير الحامض المحضر مقدار ساعتين او اكثر حتى يصير لونهُ ابيض واخيراً اكب الحامض وعد فانقع الزهر في الماء البارد حتى يحلو تماماً ونشفه بعد ذلك بخرقة خفيفة واسكب عليه القطر المذوَّب بارداً . وفي اليوم الثاني ترى انَّ الماء قد نضح منهُ فأزلهُ ثم زِدْ لهُ قطراً واعد هذه العمليَّة اربعة ايَّام متوالية في نهايتها تعود تغلي المربَّى قليلاً على النار مغموراً بالقطر وتضعهُ بعد ان يبرد بآنية زجاجية فيبقى بها محفوظاً زمناً طويلاً . واحتفظ على هذا المربَّى ايها المطالع اللبيب واهدِ منهُ لاصحابك الاعزَّاء . وكلما شعرت بضيقة صدرٍ او بترخٍ في جسمك متأتٍ من تعبٍ في المعدة خذ منهُ قليلاً فتشعر للحال براحة كليَّة

(مربَّى الصُّفير الاخضر) اجمع من بستانك صغار الصفير ولتكن الواحدة منها اصغر من الجوزة واخلع عنها اللب بشفرة خصوصيَّة واغسلها باعتناء ونظافة تامَّة واسلقها بإناء نحاسي (طنجرة) غير مبيَّض (لان المبيَّض منها يسوِّد لون هذا المربَّى) واضعاً قليلاً من الملح في الماء المغلى ودعها على النار تغلي الى ان تقارب الاستواء ثم انزلها عن النار وخذ كل واحدة من هذه الاثمار ضعها في ماء بارد مصفىً وغيِّر هذا الماء ثلاث مرات في النهار معتنياً بتنظيف كل حبة بمفردها غاية الاعتناء وواصل هذه العمليَّة الى ان تحلو الحبوب (ولعلَّهُ يلزم لذلك مدة خمسة او ستة ايَّام) واستحضر في نهاية المدة المذكورة مقدار رطل واربعة اواق سكر (لكل مئة حبة) وبعد ان تُغليهُ على النار تدعه يبرد وقتاً قليلاً ثم تسكبهُ على المربَّى وفي اليوم الثاني تزيل عنهُ ما نضح من الماء وترجع فتزيدهُ قطراً وتتركهُ الى اليوم الثالث وفي اليوم الثالث تعود للعمليَّة ذاتها ثمَّ تغليه على النار مع القطر مقدار نصف ساعة وتضعهُ بعد ذلك في الآنية المجهَّزة لذلك . وننصحك ايها الصديق ان لا تقدم من هذا المربَّى الفاخر الذي يكلفك عناء وافراً الَّا لمن تعزُّهم جدًّا

(مربّى قشر الصُّفير) حفّ الصُّفير الذي ترغب صنعهُ مربّى وقصّ الواحدة خمس او ستّ قطع ثمّ اجمعها بخيط ولفّ اذ ذاك كل واحدة منها لفّاً محكماً واسلقها بماء مغلّى مقدار نصف ساعة ثم دعها في ماء بارد وغيّر عنها هذا الماء مراراً عديدة الى ان تحلو تماماً (راجع عمليّة مربى الصُّفير) ودعها تنشف بعد ذلك واخيراً انزع عنها الخيطان ثمّ صيّرها السكّر المذوّب ففي اليوم الثاني ترى انها نضحت ماء فتراجع حينئذٍ العمليّة المصطلح عليها لمربّى الزهر

(مربّى الكبّاد) يعمل تماماً كمربّى قشر الصُّفير الّا انهُ لا حاجة بان يُلظم بالخيط كالاوّل وكذلك عملية مربّى الليمون الهندي

(مربّى قشر الحامض) انتخب الحامض المراكبي الرجعي وحفّ قشرهُ واعصر حامضهُ ودعهُ جانباً وقطّعهُ فيما بعد قطعاً صغيرة واسلقهُ بماء مُغلى وانقعهُ بعدئذٍ بالماء البارد ساعتين حتى يحلو تماماً ثمّ صفّهِ من الماء ونشفهُ بخرقة بيضاء خفيفة. واخيراً اغلِ السكر واجعلهُ فيهِ ودعهُ يغلي وقتاً يسيراً وضعهُ بعد ان يبرد في الآنية الزجاجيّة المخصصة لهُ

انني قد اخذت الافادات التي ذكرتها في مقالتي هذه عن مصادر يوثق بها وتحاشيت على قدر الامكان التطويلات المملّة لانهُ لو اردت تعداد كل ما سمعتهُ عن البرتقال ومنافعهِ للزم لذلك مجلّدٌ كبير وفي الختام اطلب من حضرات القرّاء الكرام اسبال ذيل المعذرة عمّا رأوهُ من الخلل والنقصان في هذه المقالة فان العصمة لله وحدهُ

(المشرق) نضيف هنا الى مقالة جناب الاديب توما افندي كيال ما اطّلعنا عليهِ في بعض الكتب المستحدثة عن محصولات الليمون باجناسهِ (اي البرتقال والليمون الحلو والحامض) في سواحل الشام. (اوّلاً) يافا تصدر في السنة بنحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك من الليمون وفي مواسم الليمون للانكليز مراكب خاصّة تنقل هذه الاثمار الى انكلترة وهذه المراكب لشركة يرنس لَين وبَلس اشيا مينور (Bell's Asia Minor). (ثانياً) صيداء تُصدر بنحو مليون

فرنك من الليمون. (ثالثًا) بيروت يصدر منها الى مصر وروسية وجهات الدولة العليّة بنحو ٢٠٠,٠٠٠ فرنك. (رابعًا) طرابلس يبلغ صادر ليمونها الى الخارج فوق مليونين فرنك. (خامسًا) الاسكندرونة محصولها من الليمون ٣٠٠,٠٠٠ فرنك

المردة او الجراجمة

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنن الاب انستاس الكرملي

(المشرق) وردتنا هذه المقالة متأخرة بالبريد وكان كاتبها الاديب ابقاهُ الله نسج بُردها قبل الاطلاع على ما سطَّرهُ حضرة الاب لامنس بخصوص الجراجمة فجاءت مقالتهُ هذه مؤيدة لقول الاب المذكور موافقة لهُ كأنَّها سقوط الحافر على الحافر

ان كاتب هذه السطور « ماروني قحّ » وهو يبذل مهجتهُ ونفسهُ بطيبة خاطر في سبيل الدفاع عن وطنهِ وطائفتهِ وهو امرٌ لا يشقّ على احدٍ اذا قدّر وطنهُ حق قدرهِ وبالخصوص اذا كان كلٌّ من الدين والدنيا والوجدان يسوق كل انسان الى هذا الشان. غير ان كل عاقل يجعل فوق حُبّ وطنهِ وطائفتهِ وجنسيّتهِ محبّتهُ لله لاسباب واضحة لا حاجة في ذكرها. ثم ينظم بعد حبّ الله في سلك محبوبيهِ حُبَّ صورتهِ اي الشغف بالحقيقة لانهُ عزَّ وجلَّ هو الحق عينهُ ومن طلب الحقّ في امورهِ وشؤونهِ فقد طلب الله لا محالة. وعليهِ فاني ان وجدتُ شائبة في شخصي او في اهلي « وتأكدت وجودها » اقرُّ بها صاغرًا. واعنو لمن يرشدني الى ذلك واكون لهُ شاكرًا. متذكرًا انَّ الكمال لله وحدهُ عزَّ وجلَّ. وان جميع خلائقهِ عرضة للنقص والزلل

وكنتُ منذ أن حلمتُ قد نشأتُ على هذا الراي وهو: « ان المردة والموارنة قوم واحدٌ » وقد ناضلتُ عن هذا المذهب اشدّ المناضلة في كل فرصة سنحت لي. وبقيتُ على هذا القول حتى هذه الأيام اي الى ان طالعتُ ما كتبهُ حضرة الاب العلّامة المدقق هنري لامنس اليسوعي (المشرق ٥ : ٨٢٦) . فما كدتُ استشفّ من وراء سطورهِ رأيهُ الشخصي (وان صرّح في مستهلّ كلامهِ بانهُ لا يُبدي رأيًا في تلك القضية)

ألّا وتغلّبت عليَّ بوادر الاستياء والغيظ لرؤيتي انهُ ينسف بخطّة قلم واحدة صرحًا كنتُ إخالهُ ممرّدًا وقد كابد آباؤنا عرَق القربة في انهاض دعائمهِ وتمكينها على أسس تكاد تكون مكينة. وما طالعت مقدّمة تلك النبذة الّا وجنتُ على آخرها بلمحةٍ من البصر لشدّة التأثّر الذي اصابني وانا لا اكاد اعي شيئًا. وكل هذا كان جزافًا او من حدّ باب البوادر

وبعد ان ولّت عني تلك الحدّة ونتائجها وعقبها الهدو والسكون قلتُ في نفسي: «ولماذا هذا الاستياء. فان كان الاب مصيبًا في كلامهِ فلا يحسن بي ان امتعض من الحق وامتعاضي هذا لا يجدي فتيلًا ولا يُغيّر شيئًا من تلك الحقائق التاريخية. وامّا اذا كان مخطئًا فان كلامهُ لا يفعل شيئًا في نفوس الباحثين المحقّين» وما قلتُ ذلك الّا وثابت اليَّ افكاري ورجعتُ الى رأيي الاول اي: «ان المردة والموارنة قومٌ واحد»

ثم بعد ذلك طالعت بلذةٍ لا توصف ما ورد في المشرق (٥: ٩١٤) من الردّ على هذه المقالة وكنتُ كلّما قرأتُ سطرًا شعرتُ بهزة فرح في وجداني يفوق اضعافًا ما اصابني من الانزعاج عند مطالعتي مقالة حضرة الاب لامنس. الّا انني من بعد ان فرغت من قراءتها ثمّ لحظتُ ما حشّى بهِ حضرة الاب الباحث تلك المقالة النفيسة بسطور دقيقة محكمة عقدتُ النية على ان اتصفّح التاريخ بقلبٍ خالٍ من كل غرض لاتتبّع آثار تلك المسئلة واتثبّت الحقّ لأراهُ في اي الطرفين هو. وقلت: «عليَّ قبل كل شيء ان اطّلع على ما قالهُ العرب في هذا الموضوع لانهم كانوا كلّما فتحوا بلدًا ذكروا امّتهُ او طائفتهُ ووصفوا احوالها. فلا يمكن انّهم لم يذكروا المردة وقد كان هؤلاء يدافعون بادئ بدء عن الرومانيين في جبل اللُكّام. فاخذت اتصفّح كتب التواريخ العربية المطوّلة واحدًا واحدًا لعلّي اعثر على شيء من هذا القبيل فلم اجد ضالّتي لا في ابن الاثير ولا في ابن خلدون ولا في ابي الفـداء ولا في ابي العبّاس البلاذري ولا ولا ولا... فاستنتجتُ ان العرب لم يعرفوا هؤلاء الاقوام باسم المردة بل باسم آخر عليَّ ان ابحث عنهُ واجدهُ. امّا ان العرب لم يعرفوا المردة البتّة فهذا لا نُصدّقهُ لأننا نعلم حقّ العلم انّهم لمّا حاربوا الاكراد ذكروهم باسمائهم وعدّدوا قبائلهم ولقّبوهم بنوع عجيب حتى انهُ لم يسبقهم الى مثل ذلك التعريف الفرس انفسهم مع انهم جيرانهم فكيف لم يذكروا المردة وقد انتشبت بينهم وبين المردة حروب طويلة فلا شكّ انهم عرفوهم باسم آخر. وللحال اخذت اتدبّر

التواريخ مرةً ثانية باحثاً عن المردة باسم آخر فوقفتُ على الحقيقة والحمد لله. واليك نتيجة بحثي هذا:

١ً ان اسم « المردة » لم يعرفهُ اهل سوريَّة في عصر فتوحات العرب بل قد اصطلح عليه اليونان من عندهم واطلقوهُ على اولئك الأقوام المحاربين من باب المشابهة في العوائد والاخلاق الحربية لان المردة في الاصل من أقوام فارس والكلمة فارسية الاصل لا حظَّ لها من الاشتقاق العربي او الارَميّ

٢ً ان الذين ذكروا اولئك الاقوام بعد ذلك باسم « المرَدة » من الكتبة السوريين عرباً كانوا او ارميين اخذوا تلك التسمية من اليونان لا من اجدادهم او سكان بلادهم الاقدمين. وكلٌّ من ذكرهم باسم المردة هم من الكتبة المحدثين لا من المعاصرين لتلك الفتوحات

٣ً كان المردة في الاصل رُوماً مع اقوام شتى من امم مختلفة تجنَّسوا بالرومية وكذلك كان رؤساؤهم وقوادهم واغلب فرسانهم. وقد جاؤوا بلاد سوريَّة في أيام الفتوحات صدًّا لغارات العرب ثم انضمَّ اليهم جمٌّ غفير من الوطنيين (ومنهم كان الموارنة) وأنباط وأسرى وعبيد أَبَاق من عبيد « المسلمين » وبالخصوص من ابطال سُكَّان قرية الجرجومة فأطلق على هؤلاء كلهم اجمعين اسم الجراجمة من باب تسمية الكل باسم الجزء. وهو اسمهم الصحيح التاريخي الذي عرفهُ المعاصرون من اجدادنا ومن كتبة العرب كما يتضح ذلك في مَوطنِهِ ان شاء الله

٤ً ان اسم المردة والاصحّ الجراجمة اسم قوم مُحارب قد اجتمع افرادُهُ من امم شتَّى و« أديانٍ » مختلفة ولا جامعة لهم الَّا جامعة الحرب والغزو ولم يكن ابداً اسم فرقة دينيَّة نصرانية او غيرها

٥ً كان الجراجمة قبل ان يأتوا لبنان يسكنون ولايات آسيَّة الصغرى التي رجعوا اليها بعد غزوتهم لِلُبنان لا بل ومنهم من توطَّن اضالية ومنهم من رحل الى جزيرة قبرس ومنهم من اقام في بلاد اليونان ومورة ونواحيها ولم يزالوا في جميع تلك البلاد على نظامهم العسكري الى ان تقلَّص ظلُّ السطوة الرومية وكان لهم ضبَّاط وقوَّاد يسوسون أمورهم. واماَّ الموارنة فلم يهاجروا بلادهم الَّا النزر القليل منهم

فهذه كلها حقائق اصبحت عندي مثبتة راهنة يعزُّ عليَّ ذكرها لانها تُخالف كل المخالفة ما صرَّح به آباؤنا وكُتّابنا إلا انَّ الحقَّ احقّ ان يُقال ويُتَّبع. قلتُ: «يعزُّ عليَّ» لاني أرى هذه النتائج التي استنتجتُها من كتب العرب (ما عدا النتيجة الاخيرة فهي من كُتُب اليونان) هي نفس ما توصَّل اليه الاب الفاضل العلاَّمة المحقق المدقق هنري لامنس اليسوعيّ من كُتب اليونان. واني الآن لأعجب من دقة نظرهِ واصابة سهم كلامهِ غرض الحقّ. ولذا اصبحتُ من بعد استيائي منهُ اشكر لهُ كل الشكر بلسان المشرق نيابةً عن كل من يُحبّ الحقّ ويتبعهُ على سعيهِ وتحقيقهِ واودّ ان يواصل مثل هذه الابحاث عن بلادنا وآثارها

امَّا كيفيَّة بلوغي الى مقصودي هذا فقد كان على الوجه الآتي: اني اخذت في ان ابحث عن اول من ذكر اسم «المردة» وبعد التنقيب والتنقير لم اجد احدًا تقدَّم مؤرخي اليونان في اطلاق هذا الاسم عليهم. واشهر من نُقلت شهادتهُ وتناقلها الخلف عنهُ واحدًا بعد واحدٍ هو ثيوفانس واليك بعضًا مما قال: «في السنة الثامنة والتاسعة لقسطنطين (الملك اللحياني اي في سنة ٦٧٥ و ٦٧٦) دخل المردة لُبنان وفتحوا جميع البلاد من جبل اللُكام (وفي الاصل «من الجبل الاسود» وهو اسمهُ القديم) الى بيت المقدس. واستحوذوا ايضًا على مشارف لبنان. وانضوى اليهم اناس كثيرون من البعيد ومن الوطنيين حتى انهم في برهة من الزمان بلغوا أُلوفًا مؤلفة... فاوفد العدو الى القسطنطينيَّة وفدًا يطلب الصلح». ثم قال بعد ذلك: «وفي السنة الاولى ليُسطنيان الملك الاخرم (اي سنة ٦٨٥) ارسل اليهِ صاحب الشام رُسلًا لتأييد الصلح وعاهدهُ على ان يلتزم الملك بان يَكُع جيش المردة الذين في لبنان ويمنع شنَّ غاراتهم... وأنْ يُدفَع للملك كلَّ يوم (ويُروى كلَّ أُسبوع) ألف دينار وفرس وعبد. فارسل الملك بولس الجسترياني لإحكام عقد عُرى الصلح فتمَّ العهد على يدهِ وشهد بهِ شهود عدل. ثم ارسل واستجلب ١٢ الفًا من المردة وبهذا العمل انثلمت شباة سلطة الروم. وذلك ان يسطنيان الاخرم لم يكن قد اكمل من العمر ١٦ سنة فكان أخرق في حكمهِ. وفي السنة الثانية استرجع المردة الساكنين في لبنان. وبهذه الصورة هدم سورًا حصينًا» انتهى كلام المؤرخ اليوناني

فلمَّا وقفتُ على هذا النص فهمتُ ان ثيوفانس لم يُسمّ اولئك الاقوام «مردة»

الّا توسعاً ولم يُرد بذلك ابداً ان يذكر اسمهم الحقيقي بل نُكتةً بديعة تاريخية ليفهم قرّاءهُ ان ما جرى بين الجراجمة والعرب يُشبه ما جرى بين المردة واعدائهم في سابق الزمان. وذلك ان المردة كانوا أمةً قد تمّت جامعتُها قبل المسيح وكانت من الامم : ذوية نازلة بالسيف الجنوبي من بحر قزوين بين جيلان غرباً والطافورة شرقاً وكانت قد خضعت خضوعاً اسمياً للدولة المادوية الفارسيّة ثم للاسكندر ثم . . . ثم . . . امّا بلادهم فكانت تقريباً مازندران الحالية (اي بين جيلان وطبرستان) وكانوا صعاليك الّا انهم كانوا محاربين مغاوير يتهالكون على السلب والنهب والغزو ومن ذلك اسمهم بالمادويّة « مردان » او الابطال المغاوير المحاربين والواحد منهم « مَرْدْ » فعرّبوها وقالوا في جمعها مَرَدَة. وامّا قول بعضهم انهُ مشتق من العربية من معنى التمرُّد فقول لا ينطبق على الحقيقة وان وافقهُ وجه الاشتقاق والتاريخ

وكان المردة يشنّون غارات شعواء على اعدائهم بدون ان يريحوا اجسادهم. ومن ذلك الاشارة الدقيقة البديعة اشارة ثيوفانس المؤرخ التي تهافت على التقاطها المؤرخون من بعده فاساؤوا التصرّف بأخذها ومعناها. وهذا الامر نفسهُ هو الذي دفع بعض الباحثين من متأخري الافرنج الى القول بان المردة هم « من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانهم هاجروا الى بلاد عديدة على ممرّ القرون ومنهم مردة لبنان ». قلنا: فكونهم وُجدوا قبل المسيح فهذا امرٌ لا يختلف فيه اثنان وامّا كون بعضهم هاجروا الى لبنان فمّا لم نتوفّق الى العثور عليه في التواريخ التي بيدنا

ولمّا تأكدتُ اختلاق هذا الاسم وعاريّتهُ اخذت بيدي كامل ابن الاثير وتصفّحت الحوادث التي طرأت في بلاد الشام في ما يكاد يقع في نحو ذلك الزمان فوجدتهُ يقول (٤ : ١١٨) : « ذكر عصيان الجراجمة بالشام »

ولمّا امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج ايضاً قائدٌ من قوّاد الضواحي في جبل اللُّكام واتّبعهُ قوم كثير من الجراجمة والانباط وابّاق عبيد المسلمين وغيرهم. ثم سار الى لبنان. فلمّا فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليهِ فبذل لهُ كل جمعة الف دينار (١. فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد. ثم وضع عليهِ عبد الملك سحيم بن المهاجر فتلطّف حتى وصل اليهِ متنكراً فاظهر لهُ ممالأتهُ وذمّ عبد الملك وشتمهُ ووعدهُ ان يدلّهُ على عوراتهِ وما هو خير لهُ من -

---

١) قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤ من الطبعة الصالحانية : وفي سنة ٧٠

الصلح . فوثق اليهِ ثم ان سحيماً عطف عليـهِ وعلى اصحابهِ وهم غارُّون غافلون بجيشٍ مع موالي عبد الملك وبني أُميَّة وجندٍ من ثقات جنـدهِ وشجعانهم كان اعدَّهم بمكانٍ خفيّ قريب واس فنودي من اتانا من العبيد يعني الذين كانوا معهُ فهو حرٌّ وثبت في ديوان فانفض اليهِ خلق كثير منهم فكانوا ممَّن قاتل معهُ فقتل الخارج ومن اعانهُ من الروم وقُتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادي بالامان فيمن بقي منهم فتفرقوا في قراهم وسدَّ الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد » . انتهى كلام ابن الاثير

فبحثتُ حينئذٍ في تاج العروس عن معنى الجراجمة فرأيتهُ يقول: « الجراجمة (بهاء) قومٌ من العجم بالجزيرة . وفي نسخة من العرب . وهو غلط . ومنهُ حديث وهب : قال طالوت لداود عم : انت رجل جريء وفي جبالنا هذه جراجمة يحتربون الناس او لصوص يستلبون النـاس وينهبونهم او هم نبط الشام . قال ابن بري : ومنهُ قول ابي وجزة :

لو ان جمع الروم والجراجما » . انتهى

فلمَّا لم ارَ في هذا الكلام اصل لفظة الجراجمة نقَّبت عنهـا في دائرة المعارف للبستاني فلم اظفر ثمَّ بشيء . فتعجبتُ من ذلك لاعمالهِ مادَّةً في غاية الاهميَّـة . ثم ذفَّرت عنها في معجم البلدان فألفيت النص الآتي (٢ : ٥٥) :

الجُرجومة . بضم الجيمين مدينة يقال لاهلها « الجَراجمة » (١ كانت على جبل لكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بيَّاس وبُوقة قرب انطاكية . والجراجمة جيل كان امرهم في ايَّام استيلاء الروم ان خافوا على انفسهم فلم يتنبَّه المسلمون لهم وولَّى ابو عبيدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهريّ فغزا الجرجومة فصالحهُ اهلهُ على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية وان يُنَفِّلوا (بالفاء الموحدة الفوقية اي يوهبوا) اسلاب من يقتلونهُ من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً . ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجرٍ واجير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هذا الصلح فسُمُّوا « الروادِيف » لانهم تلوهم وليسوا منهم . ويقال انهم جاؤوا بهم الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسُمُّوا روادِيف . وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرَّة ويعوجُّون أُخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم على المسلمين ولمَّا استقبل عبد الملك بن مروان لمحاربة مصعب بن الزُّبير خرج قوم منهم الى الشام مع ملك الروم

للهجرة وهي سنة الف للاسكندر استجاش يوسطينيانوس ملك الروم على من بالشام من المسلمين فصُولح على ان يؤدّى اليهِ كلّ يوم جمعة الف دينار . وقيل « كلّ يوم » الف دينار وفرساً ومملوكاً انتهى . وهذا الكلام الاخير يوافق نصّ ثيوفانس

١) وفي الاصل المطبوع قد ضبطت الجيم الاولى بالضم وهو خطأ واضح لانَّ وزن التكسير « فَعَالِلة » لا يأتي ابداً مضموم الاوَّل ابداً

تتفرقوا في نواحي الشام وقد استمان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايام بني أُميَّة وبني العبَّاس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة ».

فهذا الكلام وان كان مفيدًا غاية الافادة الّا انهُ وجيز الشرح قليل التفاصيل ويُشعر بان للجراجمة وقائع كثيرة واموراً خطيرة. فبحثتُ عنهم في فتوح البلدان للبلاذري فوجدتهُ وافيًا بالمرام شافيًا لما في النفس من الأوام. ولذا ادرج كلامهُ الذي يكون بمنزلة فصل الخطاب. قال ولله درُّهُ من قائل (ص ١٥٩):

« امر الجراجمة » (وفي الاصل مضبوطة ايضاً بالضم وهو خطأ كما رأيت)

« حدَّثني مشايخ من اهل انطاكية: ان الجراجمة من مدينةٍ على جبل اللُّكَّام عند معدن الزاج فيما بين بَيَّاس وبوقا. يقال لها « الجرجومة ». وان امرهم كان في ايام استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها. فلمَّا قدم ابو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهمُّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على انفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم يتنبَّهوا عليهم. ثم ان اهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجَّه اليهم ابو عبيدة من فتحها ثانية وولَّاها بعد فتحها حبيب بن مسلَمَة الفهري. فغزا الجرجومة فلم يقاتلهُ اهلها ولكنهم بدروا بطلب الامان والصلح فصالحوهُ على ان يكونوا اعوانًا للمسلمين وعيونًا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤْخذوا بالجزية وان يُنفّلوا اسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين اذا حضروا معهم حربًا في مغازيهم. ودخل من كان في مدينتهم من تاجرٍ واجيرٍ وتابع من الانباط وغيرهم واهل القرى في هذا الصلح فسُمُّوا « الرواديف » لانهم تلَوْهم وليسوا منهم. ويقال انهم جاؤوا بهم الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسُمُّوا روادیف فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويُمالئونهم. فلمَّا كانت ايَّام ابن الزُّبير وموت مروان بن الحكم وطلب عبد الملك (بن مروان) الخلافة بعدهُ لتوليته اياهُ عهدهُ واستعداده للشخوص الى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير « خرجت خيل الروم الى جبل الاكام وعليها قائد من قوَّادهم ثم صارت الى لبنان. وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد أَبَاق من عبيد المسلمين فاضطرَّ عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مالٍ يؤدّيه اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ وتخوُّفهِ ان يخرج الى الشام فيغلب عليهِ ». واقتدى في صلحهِ بمعاوية حين شُغل بحرب اهل العراق فانهُ صالحهم على ان يؤدي اليهم مالًا وارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك. ووافق ذلك ايضاً طلب عمرو بن سعيد بن العاص الخلافة واغلاقه ابواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلًا وذلك في سنة ٧٠ (٦٨٩ م). ثم ان عبد الملك وجَّه الى الرومي سُحيم بن المهاجر . . . فقتلهُ ومن كان معهُ من الروم ونادى في سائر من ضوى اليهِ بالامان فتفرَّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم باللُّكَّام واتى الانباط قراهم فرجع العبيد الى مواليهم وكان ميمون الجُرْجُماني عبدًا روميًا لبني أُمّ الحَكم اخت معاوية بن ابي سفيان وهم ثقفيُّون. وانما نُسب الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجهِ بجبل لبنان معهم فبلغ عبد الملك عنهُ بأس وشجاعة فسأل مواليَهُ ان يعتقوهُ

فقتلوا. وقوّدَهُ على جماعة من الجند وصيَّرهُ بانطاكية ثغرا مع مسلَمَة بن عبد الملك الطُّوانة وهو على الف من اهل انطاكية فاستشهد بعد بلاءٍ حسنٍ وموقفٍ مشهودٍ. فغمّ عبدَ الملك مصابُهُ واغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثارهِ

« قالوا ولمَّا كانت سنة ٨٩ (٧٠٧ م) اجتمع الجراجمة الى مدينتهم واتاهم قومٌ من الروم من قبَل الاسكندرونة ورُوسيس (١ فوجه الوليد بن عبد الملك اليهم مسلَمَة بن عبد الملك فاناخ عليهم في خلق من الخلق فافتتحها على ان ينزلوا بحيث احبّوا من الشام ويجري على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت وهو مدَّان من قمح وقسطان من زيت وعلى ان لا يُكرَهوا ولا احد من اولادهم ونسائهم على ترك النصرانيَّة وعلى ان يلبسوا لباس المسلمين ولا يوخذ منهم ولا من اولادهم ونسائهم جزية وعلى ان يغزوا مع المسلمين فيُنفَّلوا اسلاب من يقتلونهُ مبارزةً وعلى ان يوخذ من تجاراتهم واموال موسريهم ما يوخذ من اموال المسلمين. فاخرب مدينتهم وانزلهم فاسكنهم جبل الحوَّار وسنح اللولون (؟) وعمق تيزين. وصار بعضهم الى حمص ونزل بطريق الجرجومة في جماعةٍ معهُ ثم هرب (اي هذا البعض الآخر) الى بلَاد الروم (٢

« وقد كان بعض العمَّال أَلزم الجراجمة بانطاكية (٣ جزية رؤوسهم فرفعوا ذلك الى الواثق بالله رحمه وهو خليفة فامر باسقاطها

« وحدَّثني بعض من اثق بهِ من الكتَّاب ان المتوكل على الله رحمه امر باخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة وان تُجرى عليهم الارزاق اذ كانوا ممَّن يستعان بهم في المسالح وغير ذلك. وزعم ابو الخطَّاب الازديّ ان اهل الجرجومة كانوا يُغيرون في ايَّام عبد الملك على قرى انطاكية والعَمْق (٤ واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلّف واللاحق ومن قدروا عليهِ ممَّن في اواخر العسكر وغالوا في المسلمين. فامر عبد الملك ففرض لقوم من اهل انطاكية وانباطها وجعلوا مسالح واردفت بهم عساكر الصوائف ليذودوا الجراجمة عن اواخرها. فسُمُّوا « الرواديف » واجرى على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير والخبر الاوّل اثبت

---

١) قال ياقوت: روسيس بضم اولهِ وسكون ثانيهِ والسين الاولى مهملة وياء ساكنة كورة من كور العواصم راكبة البحر بين انطاكية وطرسوس

بلاد الروم

٢) ويريد العرب ببلاد الروم ما نسمّيهِ اليوم بآسية الصغرى واضالية وبلاد اليونان ومورة كما يتَّضح ذلك من مراجعة كتبهم. وهو امرٌ لا شكَّ فيهِ ولنا نصوص عديدة تؤيدهُ

٣) ومن ذلك ترى ان الجراجمة اصبح اسماً عامّاً لاولئك الاقوام ولا يُراد بهِ فقط اصل جرجومة كما ترى من سياق هذا الكلام اذ ترى الجراجمة في انطاكية

٤) العَمْق على ما قالهُ ياقوت: « كورة بنواحي حلب بالشام الآن وكان اولًا من نواحي انطاكية ومنهُ اكثر ميرة انطاكية »

(ثم اورد حضرة الاب انستاس ما نقلناهُ عن البلاذري سابقًا (راجع المشرق ٥ : ١١٢٥) من امر الامام الاوزاعي وتوسُّطهِ لمَّا شكا اهل لبنان عامل خراج بعلبك)

هذا ما اخذناهُ بحرفهِ عن تاريخ هذا الكاتب المحقّق . وانت تعلم علوَّ منزلة البلاذري من تدوين الحوادث اذ انك لا ترى ابدًا هذا الجهبذ يُلقي الكلام على عواهنهِ بل يُسندهُ دائمًا الى من حدَّثهُ بهِ . فضلًا عن انهُ كان معاصرًا لاغلب تلك الوقائع لانهُ ولد في اواخر القرن الثاني للهجرة وتوفي في عهد المتوكل (وكانت خلافة المتوكل من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧ ﻫ = ٨٤٦ — ٨٦١ م) ويكاد يكون معاصرًا لأقدم مَن ذكر الجراجمة باسم المردة اي ثيوفانس الذي ولد نحو سنة ٧٥١ وتوفي سنة ٨١٨

ومن بعد ان بلغنا الى هنا من بحثنا هذا اخذنا نتصفَّح بعض الكُتُب في هـذا الموضوع فوجدنا ابن العبري يقول في تاريخهِ السرياني (الإرمي) العبارة ما نصُّهُ (راجع طبعة الاب بدجان ص ١٠٩) :

« ܐܢܫ̈ܐ ܓܢ̈ܒܪܐ ܕܪ̈ܗܘܡܝܐ ܡܪ̈ܘܕܐ ܐܘܚܕܘ ܠܟܘܪܐ ܕܡܢ ܣܘܪ̈ܝܝܐ ܓܪ̈ܓܡܝܐ ܡܬܩܪܝܢ ܗܘܘ
ܘܐܚܕܘ ܡܢ ܛܘܪܐ ܕܓܠܝܠܐ ܥܕܡܐ ܠܛܘܪܐ ܐܘܟܡܐ ܘܟܠܗ ܠܒܢܢ ܘܥܡ ܛܝ̈ܝܐ ܣܓܝ ܐܬܟܬܫܘ
ܙܒ̈ܢܝܢ ܘܐܙܟܝܘ ܛܝ̈ܝܐ ܘܩܛܠܘ ܡܢܗܘܢ ܘܫܡܠܘ ܥܝ̈ܢܐ ܐܚܪ̈ܢܝܬܐ »

وهذا تعريبهُ : « انَّ قومًا من الروم غزاة مَرَدَة اي من الكماة وكان اهل سوريَّة يسمُّونهم « جراجمة » اي أبطالًا ضبطوا البلاد من جبل الجليل الى الجبـل الاسود (اللُّكَّام) وكل جبل لبنان وكابد العرب منهم كثيرًا وفي الآخر تغلَّب عليهم العرب فقتلوا بعضًا منهم وسَمَلوا عُيُون آخرين .» اه .

ومن هذا الكلام نتحقّق أمرَين وهما : ان اهل سوريَّة القدماء ما كانوا يعرفون هؤلاء الاقوام الَّا باسم الجراجمـة وامَّا المردة فانَّها دخيلة وان الجراجمة والمردة قوم واحد عُرفوا باسمين مختلفَين . ومن يسمع شهادة ابن العبري وهو خالي الغرَض لا يتالك من ان يقول : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . والسلام

(المشرق) انَّ في قول حضرة الاب انستاس تحت عدد ٣ (ص ٣٠٣) انَّ الموارنة ممَّن انضمُّوا الى المردة وأطلق عليهم جميعًا اسم الجراجمة لما شأنهِ ان يوفّق بين رأي حضرتهِ والرأي المخالف اذ لا يُستغرب ان يكون اسم الجميع أطلق على قسمٍ واحدٍ فدُعي الموارنة بالمردة لانَّهم كانوا معهم

بحث في اصل النطق *

للاب يوسف جباره اليسوعي

ان الكلام لطبيعي للانسان . قال شمس المدارس : « لو كان ابن آدم حيوانًا يجنح من طبعه الى الخلوة والعزلة لكفتهُ اهواء نفسه التابعة في تصرُّفها نظام الاشياء لاطلاعه على كنه احوالها . لكنهُ لمَّا فُطِرَ حيوانًا انيسًا مؤالفًا لامثاله تحتَّم عليهِ اظهار افكاره للغير بوسيلة النطق . ولذا لزم وجود اصوات ذات معنى ليتيسَّر للانسان امر العيشة الاشتراكية (١) »

تُرى ماذا يُطلب بعد هذا لتأييد حكمنا كون الكلام طبيعيًا للانسان ؟ يظهر لنا انهُ يكفي لذلك ان يكون للاصوات التي يلفظها الانسان مناسبةٌ طبيعية ثم معنى مضبوط محدود واخيرًا لا بُد من قوةٍ تحدّد للاصوات مجاري معانيها . والحال ان الكلام الملفوظ طبيعي لابن آدم حيث ان الله قد وهبهُ جهازًا للصوت يؤهلهُ لابراز اصوات ملفوظة بل غرس في نفسه ميلًا فطريًا يهديهِ الى استعمال تلك الاعضاء كآلة لفضّ مختوم افكاره يجيزها الى مخاطبيهِ جاريًا في ذلك حسب مقتضى الحال

تلك قضيَّة قد همَّنا بعقدها بالادلَّة المتينة ووصلها بشهادات الباحثين السديدة وهو في علمنا القاصر ويقيننا الخامل امرٌ تمثَّل صوابه للعيون وتقرَّر حكمهُ في العقول على اننا لا نألو جهدًا في تفقُّد مذاهب الخصوم كي يصدعَ البحث ملتبس الشكّ فيكون البرهان مجلي للشبهة وموجبًا للحجة . واذ كانت ارض موضوعنا هذا متراخية الشقَّة متفاوتة السبيل والخطَّة فلا يسع جواد الفكر جوب فسحاتها في طرفة عين رأينا قبل الخوض في فلَواتها ان نتريَّث قليلًا ونطلق رائد النظر على متسع

* قد استندنا في سرد هذه المقالة الى هؤلاء الكتبة الاربعة G. Sortais : *Psychologie*, p. 525-535 = Chr. Pesh, vol. 3. *Psych. : De origine linguœ.* = E. Rabier : *Psychlogie*, ch. XLIII. = Foncegrive, *Psychologie : Le langage.*

١) St Thomas in I Periherm. l. 1. lect. 2

ارجائها ونختار لنا صراطاً امينا ودليلا حكيماً يساعدنا على طيّ المراحل واحدة واحدة الى ان نقف على مواقع آثارها ونستثير خفيّ اخبارها فنبلغ المراد ونحمد جدّنا المستجاد . وعليه فنعرّف مباشرةً طليعة والنطق المتفرّع عن ارومته ثمّ نتطرق الى البحث عن اصل الكلام مستعرضين حلّة كل من الآراء المتداولة المعروفة مظهرين ما فيها من الرخيص والثمين الى ان تتجلى طلعة المذهب العقلي في مشرق البصائر الاغرّ . فنقول والله في التوفيق خير مسؤول

النطق(١ هو مجموع دلائل يكشف بها الانسان لغيره القناع عمّا تحرّك به ضميره.

لا غرو انهُ لا يكفي للانسان صوغ الافكار وابقاؤها في صدفة عقله بل عليه اذا ما اراد البيان عنها ان يبرزها ويجلو مكنونها لمن شاطره كاس الحياة وانتظم واياهُ في سلك الهيئة الاجتماعيَّة

على انهُ لمَّا كان المرء لا يستطيع ابلاغ خفايا قلبه توّاً الى سامعه تراه يعمد الى حركات وافعال تقرع باب الحواسّ المجاورة لهُ فتطبع عليها طابعها وللحال تتأثر عوامل الحواسّ القابلة لنطقنا وتفصح عن احوال شابه احوالنا صداها.

فالدليل اذًا حادثٌ حسّيٌ يثير في نفسنا فكرَ حادثٍ آخر غير محسوس. فان صراخ المتوجع مثلًا يدلُّنا على الم لا تدركهُ حواسنا. وبالاجمال الدليل هو كل شيء يصحبهُ فكر شيء آخر او كل شيء يقود الى معرفة غيره

موادّ الدليل ثلاث: ١ً حادثٌ حسيٌ وُضع للدلالة . ٢ً حادثٌ غير محسوس مدلولٌ عليه . ٣ً علاقة بين الدالّ والمدلول عليه يُطلعنا بها الاول على حال الثاني

تلك هي موادّ النطق وهو في حيّز الامكان. ولكن لوجود دلالةٍ حاليَّة حاضرة لا بُد من عقلٍ يُدرك العلاقة الجامعة بين الدليل والمدلول عليه

امّا علاقات الدليل والمدلول عليه فكثيرة الانواع واهمُّها:

١ً ما قام بين العلة والمعلول : كالبارود وانفجاره

٢ً ما بين الواسطة والغاية : كالابرة المغنطيسيَّة والإبحار

١) قد توسعنا في معنى النطق في هذه المقالة. فاستعملنا الكلام اي النطق الملفوظ مرادفاً لهُ في اغلب المواضع. والفرق الفاصل بينهما يدلُّ عليه عند الضرورة سياق الكلام. — كذلك للدليل معنيان متفاوتان اولهما مرادف للعلامة (signe) والثاني للبرهان . فتأمل

٣ً علاقات المشابهة : كالرسم والاصل المأخوذ عنهُ

٤ً علاقات تلاصق اعتيادي سواء كان ناجماً عن الطبيعة او عن معاقدة أبرم الناس حبالها : كالخطاف وورود الربيع او الكلام والفكر

واخيراً علاقات المجانسة : كالقسطاس والعدل

كذلك للدليل اوجه شتى نقتصر منها على ذكر ما لهُ علاقة تصل الدليل بالمدلول عليهِ. فالدليل يدعى طبيعياً اذا كان مرتبطاً بنوع فطري بالمدلول عليهِ. فان صاحب تلك الدلائل يبرزها من تلقاء نفسهِ واغلب الاحيان دون رضى تسبق اليهِ ارادته. فإنَّ قابل تلك الدلائل يجد لها معنًى في نفسهِ يشاكلها صفةً من غير ما اتفاق معهود. ومثال ذلك: سمات الوجه المختلفة والاصوات والصراخات المتعددة المعبّرة طبعاً عن احوال الضمير. كذلك الدخان دليل على النار والاحمرار في الوجه على الخجل والحياء الخ

والدليل الاتفاقي هو ما ارتبط بالمدلول عليهِ على طريقة حدَّدت رسومها ارادةُ الناس وسنَّ لها شرائعها خاطر المتعارفين والمتكالمين. فباعث الدليل هذا يأتي بهِ بعد إعمال فكرة وكدّ ارادة. والقابل لهُ لا يمكنهُ ان يتوصل الى صحة معناه وخفي مغزاه ما لم يسبق لهُ علمٌ يُلِمّ بكل شيء. بسمة تعرّف نكرته. فالاعجمي الناظر لاول مرَّة الى قدّة خمراء طُرز فيها هلال ابيض الوجه اغرّهُ وفي صدره نجمة حسناء توصعهُ لا يدري ان ما يراهُ هو هو علَم الأمّة العثمانيّة المحروسة الى ان يجلو لهُ غامض هذه الحقيقة من عرف بامرها وبلغهُ سرُّها. والقسم الاعظم من النطق هو من هذا القبيل

فمن هنا يظهر لك ان الدليل الاوَّل منبعهُ الطبيعة والثاني اتفاق الناس والنطق يتركب من كليهما فلا هو طبيعي محض ولا اتفاقي بحت. واذ كان النطق دليلاً بل ارفع الادلة شأواً واجلّها منفعةً فهو يُقسم ايضاً الى قسمين: طبيعي واصطلاحي او اتفاقي

فممّا اندرج تحت حكم الاصطلاح الخالص: لغة الكيمياء والجبر وحروفهما الدالَّة على قوانينهما وكذلك طريقة تدوين العلامات الموسيقيَّة. وما شابه ذلك كثير

والطبيعي هو ما تألف من علامات مصدرُها الفطرة واساسها الطبيعة وهو يُعرب

اعرابًا بينًا عن كل احساس ومعنًى دار في نفسنا مع عجزه عن ابداء طبيعة الفكر نفسه واخراجه في قالب جوهره المنزَّه عن الهيولي

فالى مركز النطق والكلام تنتهي خطوط الدلائل الأُخر. فهو نقطة دائرتها وذلك لما لهُ من الالتحام القريب بالعقل الممتاز عن سائر القوى البشريَّة طبيعةً ورتبةً ولما يجد فيه الانسان من السهولة لابراز افكاره وشواعره. ناهيك عن مزايا أُخر نعدل عن وصفها في هذا المقام. وهنا حسبنا الاستشهاد بما قالهُ القديس اغسطينوس في شرف الكلام انهُ «اول الدلائل وملكها». فالكتابة تخلدهُ في الطروس. والالقاء يجملهُ اعظم وقعًا في النفوس. والغناء يبسط موشَّى حسنه. والرموز والمظاهر والحفلات تؤوّلهُ على طرائق جمة لا يبلغها الاحصاء. وبخلاصة القول ان سائر الدلائل كالخدَم تعنو لامرته وتزيدهُ رونقًا وكمالًا

وقبل الولوج في غابة البحث عن اصل النطق اتيت بهذه التعريفات تمهيدًا للموضوع وتقريبًا لجانبه. وقد اتخذت لي قادةً في وضعه رجالًا برّزوا في حلبة هذا الميدان وعُرفوا باصالة الراي وسداد البرهان. فمن نار قراهم اقتبستُ جذوةً وحملتها الى قرَّاء المشرق عليًا تهدي من سعى وراء هذه الضالة سواء السبيل

وما من احد يجهل ما لهذه المسألة من جليل القدر بل من المناهج الوعرة المطلع السريعة المنحدر الكثيرة المعاثر والمزالج والطافحة بالعقبات والمضايق. فلهذا صعَّد في فسحاتها الجمُّ الغفير وصوَّب واستنطقها حالها المتقدمون والمتأخرون فكانت لهم كالغز اجوبتهُ مغلقة ملتبسة يتنازعها الصواب والضلال شطرين ويتناوبها الجدّ والهزل ذات اليمين وذات الشمال

هذا واننا نوقف للقرَّاء الراي الاكثر شيوعًا والمرموق بعين القبول عمومًا مستندين بذلك الى الدليل وهو اقوى حاكم وعارضين اقوال العلماء على محك الانتقاد وهو اتره قاض

لا جرم ان من تداول هذه المسألة وقلَّب صفحاتها تبدَّت لهُ على وجهين الاول تاريخي وهو كيف نشأ النطق في واقع الحال. والثاني فلسفيّ محض اعني كيف امكن نشوء النطق وابتداعهُ

فالجواب التاريخي لا يُنجِم عوده الَّا بادلَّة ايجابيَّة راهنة والذين انقادوا لفتواه

يسندون زعمهم الى آيةٍ جاءت في الكتاب الكريم في سفر التكوين حيث ورد انَّ « الرب الاله جبل من الارض جميع حيوانات البرّيّة وجميع طير السماء واتى بها آدم ليرى ماذا يسميها . فكل ما سماهُ بهِ آدم من نفسٍ حيّةٍ فهو اسمهُ » (تك . ف ٢ . ع ١٩)

على ان المستدل من هذه الالفاظ هو ان آدم ليس الله تعالى خصص كلًّا من هذه الخلائق باسمها . وان الرجل الاوَّل كان قد رُزق ملكة الكلام . وهذا نشهُ هو قطب بحثنا وفي اجتلاء نوره ترانا قد شددنا رحال الطلب وأنضينا ركاب الأمل

امَّا آباء الكنيسة ومعلموها فانَّهم في تقرير هذا الامر على قسمين قسمٌ منهم ارتأى بانَّ النطق اتى عن وحي الهي وان الانسان لا قدرة لهُ على استنباطه بمجرَّد قواه الطبيعية . وقسمٌ آخر من الآباء والعلماء قد ناصبوا هذا المدَّعى وأيدوا مقالهم بالبراهين الساطعة . وكفاهم شرفًا ان قد سار في مقدمتهم القديس اغسطينوس والقديسان غريغوريوس النيصيّ وباسيليوس العظيم والخطيب المصقع بوسويه واستنهج سبيلهم كثيرون من الكتبة المحدثين على اختلاف مشاربهم كما نوضح ذلك في وقته

هذا وان اقرَّ بوجه عمومي الفلاسفة الكاثوليكيون بامكان الانسان وقدرته على ابتداع النطق فانهم يسلّمون ان الله في واقع الحال قد انزل على آدم النُّطق او التكلُّم (١ . وكذلك العرب في الغالب يرجّحون الرأي بانَّ الكلام توقيف من الله ليس تواضع واصطلاح (٢

امَّا نحن فدأبنا التنقير عن الوجه الفلسفي دون سواهُ غير مستندين رأسًا الى اللاهوت والنقل بل الى المبادئ العقليَّة . فنقول ان الباريْ تعالى اذ خوَّل آدم قوة تسنَّت لهُ

١) اعلم انهُ لمن تعاليم اللاهوت الثابتة ان الانسان الاول قد خُلق متحلياً بحلَّة العقل التامّ رافلًا في ثوبِ النعمة والبرارة حائزًا على كل المنح اللازمة لهُ للنهوض باعباء مهمتهِ العظمى الجاعلة اياه ابًا للذريَّة الانسانية وكذلك النقل يُعلمنا ان آدم قد خُلق في نضارة العقل ونال المقدرة على الكلام والتصرُّف بهِ فلم يمش حليف الحصر واللُّكْنةُ محتبس اللسان . وذلك امَّا لان الله عند خلقه اياهُ قد سكب في نفسه علم الكلام . وإمّا لانهُ نالهُ بعد ظهورهِ قوةً تمكنهُ من إيجاد الكلام المعبّر عن فكره

٢) راجع المزهر للسيوطي

بواسطتها معرفة الاشياء وادراك خواصها اطلق لهُ العنان في انتقاء الكلمات ووضعها مواضع الاشياء. وبالنتيجة امكن ابانا الاول ان يتوخى سبك نظام النطق من تلقاء نفسهِ تعاضدهُ الى ذلك قواهُ البشرية لا غير

وايضاحاً لهذا المبحث وتبديداً لغياهب الابهام نحصر اوابد مطلبنا في القيد الآتي: هل استطاع الانسان ان يصل بنفسهِ الى اخراج كنز النطق من دفائنهِ دون عونٍ الهي او الهام سماوي؟ فنجيب: امكنهُ ذلك

فهلمَّ بنا اذن لحلّ هذا المشكل متخذين العقل مطية والبرهان نبراساً نقطع بهِ مهامه الاجيال ونتخطى حواجز المسافة والاعمار الى ان ينجلي لبصيرتنا محيّا الحقيقة وتُماط استار المغالطات والسفسطات

١

وكأني وانا اسطّر ما سبق قد طرقت أذني اصوات مختلفة واعتراضات مشتبكة أثارها اقران هذا الميدان فترى كل فريقٍ منهم يحاول جذب الحقيقة اليهِ ما امكنهُ. واذ يمّمت متطفلاً حلقتهم وأملت لحظي ملياً الى جماعتهم بان لي جحفلان متلاحمان علَت جلبتهما وبرقت اسنتهما يجوبان متهار التنافة ويخوضان غمار المقارعة والمعاكسة قصد افتتاح مملكة النطق والوقوف على اساسهِ الاصلي

فالفريق الاول نادى بعجز الانسان عن تنظيم احوال النطق وابتكار غرر اساليبهِ والثاني قرنهُ اعترف لهُ بهذه المزيَّة وقلّد فكرهُ بهذه القلادة السنيَّة فاعطى القوس باريها والسهم راميهُ. فريقان اعتصم اولهما بحبل النقل فدُعي المذهب النقلي والثاني تمسك بزمام المبادئ العقلية او الحيَّة جهدهُ فوسموهُ بالمذهب العقلي الحسي. الّا ان الاخير ينشطر الى شطرين كلٌ منهما بمناط الثريا من الآخر كما يبدو لك ذلك في مؤتنف كلامنا

هيَّا بنا الى استيراء زند كل من هذه الآراء واستشفاف فرند صوارم فروعها فنضمّ الينا ما كان صافياً جوهرهُ ونطرح بمعزلٍ منّا ما اترل فيهِ الصدأ شرّهُ وضرّهُ

(ستأتي البقيَّة)

مَقَالَةٌ

لارسطوطاليس في التدبير

نقلها عيسى بن ابي زُرعة

مقدّمة

بين النصارى الذين اشتهروا في العلوم الفلسفيّة في القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ابو عليّ عيسى بن اسحاق بن زُرعة. قال ابو الفرج المعروف بابن النديم في الفهرست (ص٢٦٤) وابن ابي اصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (١ : ٢٣٥) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص٢١٥) انهُ كان من المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة واحد النقلة المجوّدين. مولدهُ في بغداد سنة ٣٣١ ه وبها توفي سنة ٣٩٨ (٩٤٣ - ١٠٠٨ م) وكان يعقوبيّ النحلة وكان كثير الصحبة والملازمة ليحيى بن عدي الفيلسوف النصراني الشهير (راجع المشرق ٥ : ٢٦٨). ولابن زرعة تآليف عديدة وردت قائمتها في فهرست ابن النديم وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة. وقد امتاز ابن زُرعة بالنقل عن اليونانيّة والسريانيّة. واكثر ما عرَّب كتب ارسطو. وقد اخذت يد الضياع اغلب تصانيفهِ الّا قليلًا منها صبر على صروف الدهر وجدنا منها بعض رسائل مفيدة في خزائن كتب اوربّة. وفي مكتبة باريس العمومية مجموعٌ موسوم بالعدد ١٣٢ تاريخ كتابته سنة ١٣٤٥ للمسيح فيهِ عدّة تصانيف ومن جملتها في الصفحة ١٧٠ مقالة تنسب لارسطو في التدبير يُقال هناك انَّ معرِّبها ابن زرعة احببنا ان نثبتها في المشرق على علّاتها. وقد بحثنا عن اصلها اليوناني في مجموع كتب ارسطو فلم نجدها ولعلَّها ممّاً فُقد من كتبهِ او هي لاحد تلامذتهِ نُسبت اليهِ

ل. ش

بسم الله الرّحمن الرّحيم

امّا بعد فان حقًّا على العاقل ان ينظر الى محاسن الناس ومساوئهم وموقعها منهم في منافعها ومضارّها. ثم يلتمس المنافع لنفسهِ من مثل ما نفعهم ويتّقي المضارّ عنها من مثل ما ضرّهم فيوفّق الامور ويطابقها ويجعل بين طبقاتها حدودًا تُزايل بينها. ثم يأخذ لنفسهِ آلة تأديبها في احياء علمِ ما عَلِم من الامور بالعمل واستجلاب ما جهل بالتعلُّم. ثم يكون تأديبهُ لنفسهِ في غير وقت واحد ولا معلوم فانهُ واجد في كل حين من احايينهِ وطبقة من طبقات الدهر الذي هو راكبها او في حالٍ من حالات نفسهِ التي

يتحرك اليها من ضروب الجد والهزل والفرح والحزن والاقامة والظعن موضع تأديب لنفسه وتقويم لها حتى لا يكون لاهل طبقة من الطبقات رفيعة كانت او وضيعة عليه في طبقتهم التي يشاركهم فيها فضلًا (فضل) . فان امرءًا لا يلتمس ان يكون له فضل على اهل منزلة من المنازل التي فوق منزلته (ليس بفاضل) فان التماس الراحة بالراحة تُذهب بالراحة وتورث النَّصَب لانّ تأديب المرء نفسهُ داعية الى نقله (الى) الأرفعين ان كان ذا رفعة (وجعله) من الاخسّين ان كان ذا خساسة . وترك التأدب خوفًا من النَّصب غائل مُفقِر فمنهاج التأدب يوقظ النصب بالادب . ثم لا يمنعك عصيانها من ادامة تيقيظها فان إلحاحك عليها مع الراحة يستحملها على طلب الراحة ببعض الطاعة ولا ينسب الذي يتيقظ وان كان كثيرًا ان يترك قليلًا (كذا) . فاذا همّت النفس ببعض الاجابة كان اوّل ما يوجد بها اعطاء الدّين حقه واشعار النفس حظها . ثم تعهّد الاخوان باحياء الملاطفة فان التارك متروك (كذا) . ثم الاستكثار من فوائد الاخوان فان كثرتهم تُقيل العثرة وتنشر الحمدة . ثم تأدية القروض الى اهل المكاشرة المتشبّهين بالاخوان والصبر عليهم امّا طمعًا في تحويل ذلك منهم صدقًا وامّا اتّقاء كلمة فاجر وقعت في سمع مائق ذي دولة . ثم اعطاء اخوان الاخوان شعبة من الحفظ والتذكير فان اخوان الاخوان من الاخوان وهم بمنزلة العلم المستدلّ به على الوفاء . ثم ان اقصى محن الاخوان التي يُمتحنون بها عند الناس امّا عند الموت فتحفظهُ في العقب وامّا عند الزمانة فتحفظهُ على حال الضعف وامّا عند الحاجة فتحفظهُ على المسكنة (كذا) . ثم توزين ما نالت وما أنلت ثم حسن التعاطي ان كان لك فضل باسقاط المنّ واحراز الفضل والسخط على نفسك في التقصير . ثمّ تعهّد الملوك بالتقريظ والملازمة فانّ همّتها في نفسها الامتداح وفي الناس الاستعباد . ثم تعهّد النصحاء بالخلالة فان نصيبهم منك ونصيبك منهم في الخلاوة . ثم تعهد الصلحاء بالمصافاة ليعرَفوا بمثل ما عرفوا به من الخير . ثم تعهّد الأكفاء بالمكارمة فانها تحسم البخل وتجدي الاخاء . ثم تعهّد الضعفاء بالرحمة واقويائهم بالتعليم فان رحمتك لذوي الرحمة تورثك برّهم وتعليمك لذي القوّة منهم تورثك نفعهم . ثم تعهّد المعيشة بالاصلاح من غير محسن للمستوجبات بما يجب لها (كذا) . ثم تعهّد الاعداء بالاذى وذوي الاغتيال بالمناقضة وذوي التنصّل بالمغفرة وذوي الاعتراف بالرأفة والرحمة . ثم تعهد الحسّاد بالمغايظة واهل البغي المداجنة واهل السفاهة بالعلم واهل

المواتاة بالوقار واهل الشاتمة بالحقرة واهل النافسة بالمكاشرة واهل الملادَّة بالاحتراس. ثم الامرُ في الشبهات بالكفّ وفي المجهولات بالإزجاء وفي الواضحات بالعزيمة وفي المستريبات بالبحث. ثم احياء الحزم عند المكاره والصبر عند النوائب والتجمُّل عند الغيظ والكظم عند الغضب والوقار عند المستجهلات. ثم تعهُّد الجار بالرفق والقرين بالمؤانسة اذا انضمَّ الى واحدةٍ واحدةٌ من الباقين من قبل الخواصّ لا من قبل الجوهر (كذا) فقد وفينا بما ضمَّنَّاهُ وتبيَّن بما ذكرناهُ بمعونة الله وحسن تسديدهِ ولهُ الشكر دائمًا الى ابد الآبدين

إرلندة ورسولها

لاحد الآباء اليسوعيين الارلنديين

الاسبوع السابق ذكرت الكنيسة الكاثوليكيَّة في مدار اعيادها السنويَّة احد ابنائها العظام الذين شرَّفوا اسمها في بلاد واسعة ونشروا لواءها فوق رؤوس أُمم ظافرة ألا وهو القديس بتريسيوس او بطريك رسول ارلندة الذي لا يزال اسمهُ حيًّا بين اهل تلك الجزيرة حتى انَّ عيده يُحسَب كموسم وطنيّ يحرقهُ الارلنديون بالافراح والمسرَّات اينما كانوا وحيثما حلُّوا. فرأينا بهذه المقام ان ندوّن لقرَّاء المشرق شيئًا من احوال ارلندة ورسولها علَّ ذلك يحظى لديهم قبولا

١ ارلندة

(جغرافيَّتها) ارلندة احدى الممالك البريطانيَّة الثلاث التي منها يتكوَّن ما يدعوهُ الانكليز المملكة المتحدة. وهي تُعرف بالنسبة الى بريطانيَّة العظمى باسم الجزيرة الشقيقة موقعها غربيّ انكلترة ودرجاتها من حيث عرضها الشمالي بين ٥١,٢٦ و٥٥,٢٢. امَّا طولها فبين ٧,٤٦,٩ و١٢,٤٩,٩ ومساحتها ٨٣,٧٩٢ كيلومترًا مربعًا اذا حسبت معها الجزائر الصغرى العديدة التي تجاور سواحلها. ويبلغ عدد سكَّانها بمقتضى الاحصاء الاخير ٤,٤٧٠,٧٥٠ نفسًا يدين زهاء اربعة ملايين منهم بالديانة الكاثوليكيَّة والباقون يتشيعون بشيع عديدة يجمعها اسم المذهب البروتستاني

(اسمها ووصفها) اسم ارلندة مشتقّ من «إرين» و «لَند» اي الجزيرة الخضراء لما يزينها من المروج المتسعة والغابات النضرة والاشجار الوارفة التي افاض في ذكرها الشعراء الارلنديون. وقد عرفها اليونان قبل المسيح بنحو ٣٠٠ سنة ودعاها ارسطو في كتابه عن العالم «إيَرْنة» وهو اسمها الكلتيّ معناه جزيرة الغرب وكان الرومان يدعونها «إيبرنية» او «يوڤرنية». على انَّ هذه الاسماء لم تكفِ الارلنديَّ لتعريف وطنه فانهُ لا يألو جهدهُ في نعتها باحلى الاوصاف ووَسْمها باجمل الاسماء. فهو تارةً يدعوها بزمرّدة البحر او غادة المياه وتارةً يطلق عليها اسم جزيرة الغابات وحيناً يسمّيها ارض الغناء وزهرة البرّ الى غير ذلك من الاسماء التي يسولها للارلندي حنانهُ الى وطنهِ. ولا غرو فانَّ الله قد خصَّ هذه الجزيرة بمرافق طبيعيَّة قلَّما اجتمعت في غيرها. فمن ذلك جودة هوائها ولطفهُ اذ يخفّف شدَّة بردها مجرى مياهٍ حارَّة يُعرف بالغُلف ستريم (golf stream) يبلغ سواحلها فتبقى طول سنتها معتدلة الهواء. ومنها خضرة رياضها السندسيَّة التي تروق لها العيون وغاباتها ذوات الاشجار العاديَّة. ومنها غزارة مياهها الجارية المخصبة المتحدّرة على شبه الشلّالات او المتجمعة في بحيرات واسعة جميلة المنظر ومنها المناظر الغريبة التي يصبو اليها القلب في سواحلها واواسط البلاد كأنَّ الطبيعة تلاعبت في جنادلها وصخورها واوديتها ومغاورها لتُري ابناء آدم ما لديها من محاسن الصور وجميل الهيئات تخرجها الى حيّز الوجود لتبهر عيون البشر

(مرافقها) ارض ارلندة جيّدة التربة كثيرة الخصب وافرة الغلّات تزكو فيها الحبوب واحرار البقول وانواع المزدرعات وخصوصاً القلقاس (البطاطا) الذي عليهِ معوَّل الغذاء بين العامَّة حتى انهُ لو أُصيب زرعها بآفة في بعض السنين لعضَّت المجاعة بانيابها الوفا وربوات من السكّان كما حصل في اواسط القرن المنصرم اذ أُودت السَّنة بحياة ربع الاهلين فماتوا شرَّ ميتة. وتكثر المواشي في ارلندة لكثرة مروجها ووفرة مراعيها فترى المال الراعي يسرح هَمَلًا نهارهُ مع ليله لا خوف عليهِ من اللصوص او ضواري الحيوان. وفي ارلندة نوع من الخيل (pony) صغيرة الجسم مفتولة العضلات خفيفة السير لها شهرة كبيرة

وممَّا امتازت بهِ هذه الجزيرة معادنها. فانَّ في جوف ارضها اركزةً من الفضّة والنحاس والحديد والرصاص والزاج والسُّبورة (الطراش ardoise) وكذلك مقالع من

الرخام والحجر الصوَّان الحبَّب ولاستثمار كل هذه المعادن شركات واسعة الثروة تستعين على اجتناء خيراتها بعددٍ لا يُحصى من العملة . امَّا الفحم الحجري فهو في ارلندة اقلّ منهُ في انكلترَّة ودونهُ جنساً . ألا انَّ الاهلين يقتلعون من وجه الارض تربةً غنيَّةً بالموادّ النباتيَّة القديمة العهد تصلح للوقود يدعوها الفرنج تُرْبًا (tourbe) والانكليز ترفاً (turf) فيتَّخذونها بدلًا من الفحم لحاجاتهم ويصطلون بها في صبارَّة البرد

امَّا الفنون والصنائع فهي منحصرة في بعض المدن الكبرى اخصُّها بلفَسْت (Belfast) وفيها تُصطنَع ضروب الانسجة من الصوف والكتَّان والقطن وانواع الشاش والموسلين يُباع منها بالقناطير المقنطرة في كل انحاء المعمور . وقد اشتهرت الجعة (البيرة) الارلنديَّة الطيّبة ونوع من العرق يُعرف بالوِسكي (whisky)

ومع ثروة ارلندة وخصبها ترى الفقر المدقع ضاربًا في انحائها اطنابهُ . وما ذلك ألا لسوء حالة الزراعة لما اصاب الفلَّاحين الارلنديين من الضغط الذي يُلزمهم الدقعاء فيعيشون في الضَّنك والفاقة لا يكادون يقومون بأعباء عيالاتهم . وقد ذهب كثيرون منهم الى الاقطار الاميركيَّة حيث انتشروا انتشارًا عجيبًا وهم في الولايات المتَّحدة وحدها عبارة عن عشرة آلاف الف نفس

(هيئتها السياسيَّة وشعارها) كان لارلندة نظام سياسيّ مستقلّ الى سنة ١٨٠٠ فيسوسها مجلس يتركَّب من نوَّاب الأمَّة واعيانها . فلمَّا كانت السنة المذكورة ضُمَّ المجلس الارلندي الى المجلس الانكليزي فقدت هذه الجزيرة الكبرى استقلالها . وقد تمَّ الامر بموجب قرار يُعرف بقرار الوحدة (Act of Union) سعى بترويجه وليم پيت (W. Pitt) الشهير ففاز برغوبه . ومذ ذاك الحين صارت ارلندة كاحدى اقاليم انكلترَّة يتقلَّد سياستها نائب ملكيّ (lord - lieutenant) من حاشية الملك يساعدهُ مجلس شوري خصوصيّ . وينوب عن ارلندة في مجلس الشيوخ او الاعيان (House of Peers) ثمانية وعشرون شيخًا بين ٥١٦ منهم وفي مجلس الأمَّة (House of Commons) ١٠٥ نوَّاب من جملة ٦٧٠ عضوًا

امَّا شعار ارلندة الخاصّ بها فعودٌ للغناء اشارةً الى طباع قدماء اهلها وولوعهم بالغناء وميلهم الى الفرح والبسط . ويُضاف الى العود برجٌ ذو هيئة خصوصيَّة كالمنارة دلالةً

على حازة البلاد ومنعتها في وجه العدوّ وفي خلف البرج كابٌ يجرسهُ وصليبٌ يعرف بالصليب الكلتي (croix celtique) يجمع شُعَبُهُ الاربعة دائرةٌ على شكل اكليل وفي اعلاهُ بيضة جُنود

(اقسامها) تُقسم ارلندة الى اربعة اقسام او أعمال. ١ً لِنستر (Leinster) وفيها ١٢ ولاية او كُنتيَّة نصفها على ساحل البحر واكبرها ولاية دوبلين التي فيها عاصمة الجزيرة دوبلين وهي مدينة كبيرة يبلغ سكانها ٣٨٠,٠٠٠ نفس موقعها عند مصب نهر كبير يُدعى ليفاي (Liffey) وبقربها خور واسع جميل المنظر تحدق به رُبى وغياض تُرى بينها القرى والضياع المشرفة على البحر. ومن مدنها النخمة كِلكناي (Kilkennay) وهي كأنَّها مبنيَّة بالرخام. ٢ً أولستر (Ulster) ولها تسع ولايات. ومن مدنها الشهيرة بَلفَست السابق ذكرها اهاليا ٣٥٠,٠٠٠. ٣ً كونوت (Connaught) وفيها المناظر الطبيعيَّة الجميلة والبحيرات الواسعة موقعها عند ساحل الاتلنتيك. ولاياتها اربع. وأكبر مدنها غالواي (Galway). ٤ً مُنستر (Munster). فيها ستّ ولايات عامرة يزدحم فيها السكان واشيرها ولايتا كورك (Cork) وليمريك (Limerick) فيهما مدينتان عظيمتان باسمهما رائجة فيهما التجارة

(لغتها) اللغة الشائعة في ارلندة هي اللغة الانكليزيَّة. بيد انَّ للارلنديين لغة وطنيَّة ترتقي الى عهد عهيد وهي لغة الكلتيين يتكلَّم بها نيف و ٦٨٠,٠٠٠ من الاهلين منهم ٤٠,٠٠٠ لا يعرفون غيرها. وهذه اللغة تتشعَّب الى ثلاث شعب اللهجة الارلندية واللهجة الاسكوسيَّة وتُعرف باسم غاليك (gaélique) يتكلَّم بها في اسكوسية ٢٥٥,٠٠٠ شخص واللهجة الولشيَّة او الغاليَّة (gallois) شائعة في بلاد ولش (Wales) في شمالي غربيّ انكلترة يعرفها اكثر من ٩٠٠,٠٠٠ منهم وللُّغة الكلتيَّة تآليف عديدة وآداب مخطوطة

(مختصر تاريخها) للارلنديين كما لغيرهم من الشعوب تاريخٌ قديم تغلب عليه الخرافات والاحاديث المختلقة. فمنهم من يرتقي باصول اجدادهم الى ايام الطوفان فيزعمون انَّ اوَّل مستعمرة سكنت ارلندة تنتسب الى ابنة اخٍ لنوح تُدعى قيصرة (Césara) ومنهم من يرجّح القول بان اصل الارلنديين من بلاد الشرق خاض قوم منهم البحار في القرن الرابع بعد الطوفان فصادفوا في طريقهم جزيرة ارلندة فاختاروها لسكناهم.

والبعض يرتأون انَّ الفينيقيين اوَّل من استعمر تلك البلاد القاصية في غابر الاجيال

والشائع الآن بين الارلنديين انَّ اميرةً مصريَّةً تُدعى سكوتا اقترنت بالزواج بملك من الإسقيتيين اسمهُ نيال فأولدا ابنًا اسمهُ افعى خبيثة فقتلتهُ الَّا انَّ موسى كليم الله بعثهُ من بعد موتهِ بآيةٍ عجز عن صنعها سحرة مصر فهذا المولود أبى ان يدرج مدارج فرعون وقومهِ فخرج من وطنهِ وركب سفينة فينيقيَّة بلغت بهِ سواحل اسبانية فنزل عندها وكثَّر ولدهُ. ومن نسلهِ كان ميلاسيوس جدّ الارلنديين اتى ارلندة في ثلاثين سفينة فاتحًا إياها في القرن الحادي عشر قبل المسيح وملكها. ولما اشتفى على الموت اقتسم ملكهُ بين اولادهِ الثلاثة. ثم نما عدد هؤلاء المستعمرين واليهم ينتسب البكت والسكوت الذين زحفوا الى شمالي انكلترة فتحوها عنوةً. ويزعم مؤرخو الارلنديين انَّ ١١٨ ملكًا توالوا فجلسوا على عرش ارلندة منذ هريمند وهو ابن ميلاسيوس الى لاوغري في القرن الخامس للمسيح دون ان يطمح احد من كبار الفاتحين ببصرهِ نحو وطنهم ليستعبده. وكان الارلنديون الأقدمون يقتسمون الى قبائل شتَّى تتنقَّل في بوادي الجزيرة لترعى المواشي وكان لكل قبيلةٍ امير يرى في امورها ويخضع لملك يجمع كلمتهم يدعونهُ « أرذري » او « اوردرياغ » وكان للملك قصر عظيم في ولاية ميث من اعمال لينستر شرقي الجزيرة. يجتمع فيهِ شيوخ القبائل كلَّ ثلاث سنوات لسنّ الشرائع واصلاح الخلل اللاحق بالأُمَّة

أَمَّا ديانة الارلنديين القديمة فهي كديانة بلاد غالية وسكوسيا فكان لهم كهنة درويديون ومعنى اسمهم خدَمة الآلهة او تراجمة الآلهة كانوا يقدّمون لآلهتهم القرابين ويذبحون الذبائح وربَّما قرَّبوا أسرى الحروب او اعداء مملكتهم. وكان كلامهم مرعيًا لا يأتي احد امرًا الَّا بمشورتهم. وكانوا يُعرفون بثيابهم السابغة البيضاء ويجعلون في عنقهم سلسلة تنتهي بكرةٍ من البلوّر. وكان للارلنديين مغنّون يعظّم الشعب قدرهم ويعتبرونهم اعتبارهم للدرويديين وكان هؤلاء يطربونهم بآلات السمع وينشدونهم الاشعار الحماسيَّة ويسردون لهم اخبار اجدادهم ويتقدَّمونهم في الحروب لينشطوهم باهازيجهم واغانيهم الموقعة على اصوات الآلات

تلك كانت احوال الارلنديين احتفظوا عليها الى أيَّام رسولهم القديس بتريك في القرن الرابع. على ان تديُّنهم بالنصرانيَّة لم يغيّر شيئًا في هيئتهم الاجتماعيَّة ونظام دولتهم

الى القرن التاسع. فلمّا كانت السنة ٨٥٣ اجاز غزاة من الدانيمرك الى ارلندة فنهبوها واحرقوا ديارها واستولوا على قسم منها ولم يزل الدنيمركيّون يعيثون فيها زمناً طويلاً ويغزونها غزوات متوالية ويزاحمون امراءها في الملك الى ان ساس الارلنديين ملكهم بريان (Brian) وبطلهم المغوار فغلب الاعداء غلبة عظيمة لم تبقِ عليهم ولم تذر وكان اتّخذ الصليب كلواء لجيشه فانتصر بقوته وذلك سنة ١٠١٤ في سهول كلنترف (Clontarf) فعاد السلم لارلندة

على انّ هذه الغزوة لم تكن سوى مقدّمة لغزوةٍ أُخرى اثقل عبأً واسوأ عاقبة نريد غزوة النرمنديين. فانّ هؤلاء بعد ان اندفعوا كسيل زحاف على انكلترة واستولوا عليها سنة ١٠٦٩ بعد واقعة هستنكس اخذوا يتطاولون طامعين في جزيرة ارلندة ولم يزالوا حيناً بعد آخر ينصبون لها المكايد حتى ساعدتهم الظروف على تحقيق امانيهم وذلك انّهم وجدوا الامراء الارلنديين يتنازعون بينهم الامر فدعا احدهم وهو امير لينستر المدعو ماك مرّاك النرمنديين فانتصروا لهُ واظفروهُ باعدائهِ. لكنّهم ابوا ان يخرجوا من ارلندة واقتطعوا لهم فيها الاقطاعات وملكوا الاملاك فنجم عن ذلك حروبٌ انتهت بكسرة الارلنديين ودخول بلادهم في حكم اعدائهم على عهد هنريكوس الثاني سنة ١١٧١

الّا انّ الارلنديين لم يرضوا بفقد استقلالهم وقاوموا السكسونيين الاجانب قروناً عديدة. وقد اتّسع هذا الخرق بين الأُمّتين وتفاقم الشرّ بتمادي الأيّام وخصوصاً مذ ترك سكّان بريطانية دين اجدادهم واستبدلوهُ على عهد هنريكوس الثامن بالاصلاح الموهوم فزاد النفور بين الجزيرتين واستشرى الفساد وذهب كثير من الارلنديين ضحايا مطامع اعدائهم دون ان يقووا عليهم ودامت هذه الحال الى ان بلغ السيل الزُّبى لمّا ضُمّت ارلندة الى بريطانية كما مرّ سابقاً في غرّة القرن التاسع عشر

على انّ الله اتاح لهذه الأمة البائسة رجلاً مقداماً وسياسياً حاذقاً وخطيباً مصقعاً يُدعى دانيال اوكونل (D. O'Connell) ولد سنة ١٧٧٥ وتصدّى للمدافعة عن قومهِ والذبّ عن حقوقهم بالوسائط الشرعيّة واستعمال النفوذ الادبي ولم يزل يعضد مطالب الارلنديين بما لديهِ من القوى حتى نُفّست عنهم كربتهم وأُرخي خناقهم فابرز الملك جرجس الرابع قراراً لاعتاق الارلنديين. وكانت وفاة اوكونل سنة ١٨٤٧

قبل ان يبلغ غاية امانيهِ. ومنذ ذاك الحين لا يزال الحزب الارلنديّ يواصل السعي في نوال ما سلبوهُ من الاستقلال النوعي والمجلس الاداري الاعلى ليتمكّن اهل ارلندة من سنّ القوانين لبلادهم وتدبير مصالحها الداخليَّة دون ان ينفصلوا عن بريطانية في الامور المتعلّقة بمصالح المملكة الخارجيَّة والمدافعة عن الدولة ومناونيها في المواد العائدة الى الخير العموميّ. واملُ الارلنديين وطيد في ان ينالوا جلّ مرغوبهم هذا عاجلًا او آجلًا

وقد افادنا البريد الاخير عن نجاح مهمّ يُرجى منهُ فوز الحزب الارلندي في مجلس العموم بخصوص الاراضي الارلنديَّة. ولعلَّهُ يعيد السلام لاهل تلك الجزيرة

٣ رسول ارلندة

لا يُمكن المؤرخ الباحث عن احوال ارلنـدة ان يضرب صفحًا عن ذكر رسولها ومنتصرها القديس بتريك حتى انَّ اسم ارلنـدة اضحى مرادفًا لاسمهِ كما انَّ اسمهُ لا ينفصل عنها البتَّة. كانت ارلندة متسكّعة في ظلمات الوثنيَّة الى القرن الخامس لا لذهول دُعاة الدين النصرانيّ عنها فانهم اتوها قبل ذلك ليبشّروا اهلها ببشارة الخلاص بيد انَّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح فعادوا خائبين آيسين لانَّ الساعة المعيَّنة منهُ تعالى لنجاة هذا الشعب من ضلال الشرك لم تأزف بعد

ولمَّا كانت اواخر القرن الرابع هجم بعض الغزاة الارلنديين تحت امرة ملكهم نيال (Niall) على سواحل فرنسة فدخلوا بلاد بريطانيـة ونهبوا وسلبوا وجلَوا قسمًا من السكّان ساموهم الخسف واسترقّوهم. وكان من جملة السَّبي شاب جميل المنظر حسن الاخلاق يُدعى بتريك يُروى عن اصلهِ انهُ كان ينتسب الى أُسرةٍ رومانيـة وشجت اواصرها ببعض اهل غالية. وكان الشابّ مسيحيًا قضى في الرقّ ستّ سنوات وهو يرعى مواشي مواليـهِ. الَّا ان ايمانهُ كان يقوّيهِ على احتمال هذه المحنـة والصبر على مضضها الى ان مكَّنتهُ الفرصة من النجاة فابق وفرَّ هاربًا الى نواحي الجزيرة فوجد مركبًا يُبحر الى جهات وطنهِ فرقَّ الربَّان لحالهِ ونقلهُ على سفينتهِ الى حيث كان سائرًا. وكان اوَّل ما فكَّر فيهِ بتريك لمَّا استقرَّت قدمهُ في ارض الوطن ان يزهد بالدنيا وينقطع الى الله. قيل انهُ تتلمـذ للاسقفين الشهيرين مرتينوس من طور وكان يقربهُ وجرمانوس من اوكسار فاخذ عنهما الآداب الرهبانيَّة والعلوم الدينيَّة

وكان الله عزَّ وجلَّ في اثناء ذلك يظهر لهُ في الرؤيا الشعب الذي عاش في رقِّ عبوديتهِ سنين طويلة كأنهُ يحرّك في قلبهِ عواطف الرحمة عليهِ والغيرة لخلاصهِ . وربَّما كان يسمع في صلاتهِ صوت الارلنديين يكرّرون عليهِ بتواتر هذه الكلمات: « هلمَّ الينا وعرّفنا باسم الربّ » . فبقي القديس مرتابًا في امرهِ برهةً من الدهر حتى تبيَّن لهُ باجلى برهان ان الله يدعوهُ الى خلاص الارلنديين . ولئلا يبقى لهُ شبهة في الامر سار الى رومية العظمى وعرض امرهُ على حبرها الجليل القديس سلستينوس الذي سامهُ اسقفًا واصحبهُ ببعض الكهنة وزوّدهُ ببركتهِ الضامنة لهُ بالنجاح في هذا المشروع العظيم

وكان وصول بتريك الى ارلندة سنة ٤٣١ وسمع بان رؤوس القبائل قد اجتمعوا عند ملكهم « لاوغري » او « لاوري » فدخل عليهم وبشَّرهم بالنصرانيَّة واصطنع بحضرتهم المعجزات الباهرة التي شهدت بصحَّة ديانتهِ وبطلان دينهم الوثني منها انهُ احيا ولدين لامير دوبلين ألفينوس كانا غرقا في نهر ليفاي فبعثهما برسم إشارة الصليب على جثَّتيهما . فكان ذلك داعيًا لتنصُّر الملك وشعبهِ

ومذ ذاك الحين اخذ بتريك يتجوَّل في كل اطراف الجزيرة ويصبغ اهلها بمياه المعموديَّة حتى لم يبقَ فيها بعد زمنٍ قليل اثر لعبادة الاصنام . ثمَّ جعل الاسقف القديس يسعى في ترويض اخلاق الارلنديين وارشادهم الى الفضائل المسيحيَّة واقام في عدَّة امكنة اساقفة مع عددٍ لا يُحصى من الكهنة عهد اليهم رعاية المؤمنين وتعليمهم وقد انشأ اديارًا شتى للرهبان كان يتقاطر اليها الاحداث ليأخذوا عن اصحابها العلوم والآداب. والى القديس بتريك يعود الفضل باقامة مدرسة كبرى في ارماغ جعلها كليَّة للعلوم العالية ما لبثت ان احرزت لها شهرة واسعة ليس فقط في ارلندة بل في كلّ اوربَّة وقد تخرَّج فيها كثير من مشاهير العلماء واولياء الله الذين استحقوا لوطنهم اسمًا جليلًا عُرفت بهِ مذ ذاك العهد وهو اسم « جزيرة القديسين »

هذا وان القديس بتريك كان يرشد الارلنديين الى الصلاح ويبعثهم على الامور الفُضلى بامثالهِ اكثر منهُ بقولهِ وانذارهِ فانَّ حياتهُ كانت اشبه بحياة ملاك متقمّص بالجسد كان يقضي ايَّامهُ بالصوم ويحيي ليلهُ بالصلاة ويمارس من اعمال الاماتة والتقشُّف ما لا يكاد يُصدَّق عنهُ لولا شهادة معاصريهِ . ولمَّا توفي في شيخوخة طيّبة في ١٧اذار من سنة ٤٩٣ عن نيِّف ومئة عام انتشر اسمهُ في كل المعمور وفاح عرف فضائلهِ حتى

اقاصي المسكونة الّا انّ ابناءهُ الذين هداهم الى سراط الحقّ قد خدموهُ بعبادةٍ واكرام لم يزدهما تقادم العهد الّا رسوخاً فتراهم يوم تذكاره يلبسون لبس العيد و يزينون صدورهم بنبت الرَّطبة او البرسيم المثلَّث الاوراق (chamrock) اشارةً الى ايمانهم بسرّ الثالوث الاقدس . وكان القديس لمَّا بشرهم بذلك السرّ العجيب عرض عليهم البرسيم كمثال حسّي يتيسّر رمزهُ بصورة معهودة . وفي ارلندة مزارات عديدة تذكر اهلها برسولهم المحبوب يحجُّون اليها ويتيمَّنون بزيارتها. وربَّما نالوا بشفاعته نعماً مشكورة

امَّا كنز الايمان الذي اودعهُ القديس بتربك امَّتهُ كوديعةٍ ثمينة فان الارلنديين قد حافظوا عليهِ ايَّ محافظة فكم من شيعة رفضوا وكم مبتدعٍ ناقضوا وكم أبلوا في سبيل ايمانهم البلاء الحسن فامكن اعداءهم ان يسلبوهم اموالهم ويسفكوا دماءهم دون ان ينزعوا من قلوبهم حبَّهم لهُ تعالى وللكنيسة المقدَّسة

وقد شاء الله تعالى أن يتَّخذ الشعب الارلندي كزرعٍ زكيّ للنصرانيَّة فان الارلندي كثير التنقُّل في البلاد لا تكاد ترى قطرًا في العالم خاليًا من نسله واينما رحل وحيثما حلّ لا يلبث الدين النصرانيّ ان يمتدّ رواقهُ حواليهِ وينتشر لواؤهُ بقربهِ حتى ان الكتبة اجمالًا يدعون الارلنديين رُسل الكنيسة الرومانيَّة وانصارها المقدَّمين ولذلك ترى الاحبار الرومانيين يخصُّون اهل هذه الجزيرة بحبّ ابويّ ويشملونهم بانظارهم السامية وكثيرًا ما توسَّطوا للدفاع عن حقُوقهم . وللحبر الاعظم لاون الثالث عشر الجالس سعيدًا على السدَّة البطرسيَّة براءات عديدة وجَّهها اليهم اظهر لهم فيها مزيد الالتفات وجميل التعطُّف . فعسى ارلندة تداوم على خطَّتها هذه الشريفة فتمشي على آثار اجدادها الاماجد وتسرّ كنيسة الله بنهج سُبل الفضيلة ورفع اعلام الدين

يمين العلي

رواية تاريخيَّة للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

وكان اليوم الاوَّل من شهر شباط واقعاً يوم السبت . فكنت ترى سوق اليهود في

هدوٌ عظيم يدهشك اذا ما قابلتهُ بما يغلب على حيّهم في بقيّة أيام الاسبوع من الحركة الغريبة واصوات الباعة . وكانت الحوانيت مقفلةً والشوارع صامتة خالية لا يطوف فيها الّا بعض الغرباء والصعاليك

الّا انَّ هذه الحركة كانت قد اتروت في داخل البيوت وفي مجامع الصلاة حيث كانت تُتلى فصول توراة موسى وتُقام الفرائض الدينيَّة منذ سَحَر النهار الى رأد الضُحى

امَّا بقيَّة المدينة فكانت على دأبها المألوف من البيع والشراء والمعاملات وشحن السُّفن وتفريغ السلَع الواردة الى البلدة

وبعد ساعة من الزمان اذ علت الشمس في كبد السماء اخذ اعيان بيروت يتزلون الى الساحات العموميَّة ويجتمعون تحت اروقة الملك هيرودس ليتجاذبوا ثمَّت اطراف الحديث ويتفاوضوا في اخبار البريد . فكنت تسمع هذا يروي ارتفاع اسعار الخمر القبرسيَّة وذاك يتأسَّف على ما لقيهُ من المزاحمة في بيع الزيت المجتنى من معاصر لبنان . ويخبر غيرهُ عن زكاء الغلّات في جهات حوران بعد ان أيس التجّار من غلّات البقاع . وافاد آخر انَّ الألعاب العموميَّة تفوق في الخريف بحسنها كلَّ ما سبق لاهل بيروت معاينتهُ في السنين المنصرمة

— وهل بلغكم أيها الكرام انَّ فرقةً من الفرسان قادمة من حمص مارَّةً بمدينتنا

قال هذا احد الذوات المعدودين يُدعى ثيبوليوس . فما سمع رصفاؤهُ هذا الخبر حتى ازدحموا عليهِ ليستطلعوا عن حقيقة الامر

— ولماذا يأتون ؟

— بلغني وانا خارج في ليلة امس من المجلس انَّ هذه الفرقة في الطريق وانَّ امرًا لازبًا استقدمها من حمص لترحل باقرب وقت الى قيساريَّة فلسطين

— وهل ثمَّة فتنٌ جديدة

— لا يزال اهل الدعارة يعيثون في تلك النواحي فيريد فسبسيان انَّ يكسر شوكة المفسدين

وبينما كان ثيبوليوس يقصّ على اصحابه هـذا الخبر اذ ورد لوسيليوس فقطع له كلامهُ متهكماً :

لا لا انَّ الرومانيين يعرفون لليهود قدرهم ولا إخالهم يضمرون لهم الشرّ

— اراك تحبُّ الهزل يا لوسيليوس وقد استشففتُ ما في قلبك من الحزازات للامّة اليهوديّة. وان كنت صادقاً فراهنتُك انَّ هذا الشهر لا ينتهي قبل ان تحدث بين الرومان وبني اسرائيل حوادث ذات شأن. فعلى ايّ شيء تراهنني

اراهنُك على الكأس الزجاجيّة المصنوعة في معامل صور والتي استحسنتها في داري قبل يوم امس . . .

فما اتمَّ لوسيليوس قولهُ هذا حتَّى أحسَّ السامعون بحركةٍ في الجمهور المتجمع في الساحة التي بازاء الرواق. فحدَّقوا بالبصر ليعلموا ما سبب ذلك واذا بصوت سائس يصرخ: « الطريق ! وسّعوا الطريق ! ». وهو يضرب السابلة ليسرعوا في فتح الطريق. وكان وراء السائس جندي روماني لابس ثوب قائد المئة على رأسه البيضة العسكريّة وهو يركض جوادهُ بكل سرعة

فلمّا بلغ الى طرف الرواق حيث كان وجوه البلدة يتناقلون الاخبار ضبط عنان جوادهِ المتصبّب عرقاً ثم وجَّه الكلام الى ثيبوليوس الذي كان تقدَّم اليه ليستثبتهُ مستظلاً بيده من الشمس :

دلّني على البيت الذي نزل فيه الضابط راسيوس

فالتفت ثيبوليوس الى لوسيليوس واشار اليه. فقال لوسيليوس: راسيوس في داري. وها انذا سيدي اقودك اليه. ولكن ألا يجوز لنا ان نطلب ماذا يُراد منهُ

— اني آتيه بامر للرحيل

— وانت قادمٌ من . . .

— من انطاكية. وقد مررتُ بحمص ثم نزلت الى طرابلس لابلّغ الضبّاط اوامر القيصر وعند الظهيرة اواصل السير الى صيدون

— لِمَ هذه السرعة الغريبة. ألا ترى فرسك يرشح عرقاً ؟

ثم رأى لوسيليوس احد السُّقاة من باعة خمر ساموس فامرهُ ان يقدّم للوافد قدحاً من خمرها المعتّقة. ففعل. فاخذ الجنديُّ الكأس ثم اراق منها نقطاً على الارض سكباً

لاكرام المشتري الاله الاعظم وللمريخ اله الحرب وجرع الباقي جرعةً واحدة

ثم اردف لوسيليوس: والى اين يذهب راسيوس ؟

— عليه ان يلحق بفريق الجند المُعسكِر في قيسارية

— في قيسارية ؟

— نعم لانَّ الحرب اليهوديَّة ستُستأنف عمَّا قليل. ولا يلبث طيطس ابن الامبراطور فسبسيان ملكنا المظفَّر ان يعود الى فلسطين. وهو اليوم يركب السفينة من الاسكندريَّة مبحرًا الى قيساريَّة حيث تجتمع الجنود الرومانيَّة فضلًا عن حلفاء رومية منهم فئة اهل البادية القادمون من البطنيَّة الى دمشق وفرقة القوَّاسين التدمريّين ورماحو كلسيس (انجر) وفرسان سُحَيم عامل حمص وهم نيف و ٣٠٠٠ فارس وطريقهم جميعًا على بيروت ومنها الى قيساريَّة. امَّا البلدة فلا يبقى فيها الَّا نصف طابور للمحافظة على شؤونها

— عليَّ بالاناء الصوري يا لوسيوس. فترى صدق قولي

ثم تابع قائد المئة قولهُ: وقد عزم الامبراطور ان يناجز اليهود الحرب ولا يرعوي حتَّى يُبيد اعداء الدولة. ولا شكَّ انَّ هذه الحرب ستشيب لها رؤوس الاطفال

وبينما كان يقول هذا كان جواده يخدُّ الارض خدًّا فاطلق له العنان مشيرًا الى لوسيليوس كي يقودهُ الى داره. فسار كلاهما الى شرقيّ المدينة الى جهة الربوة المشرفة على النهر حيث كان بيت لوسيليوس وفيه ضيفهُ راسيوس

فما تواريا عن العيان حتى عاد وجوه البلدة الى كلامهم واخذوا يكرّرون قول قائد المئة ويؤوّلونهُ بالتأويل المتعدّدة ويضيفون اليه ما سوَّلتهُ لهم مخيَّلتهم من الحدس والتخمين. ثمَّ تفرَّق المجتمعون لينقلوا الى اهلهم واصحابهم ما طرق آذانهم من الاخبار وتواعدوا بالاجتماع مساء وراء ملعب اغريبا في ظلّ جدرانه الباسقة حيث تُرى باحة يرتاض فيها الشبَّان بانواع اللاعب

وما مرَّ على الامر ساعةٌ من الزمان حتى انتشر الخبر في كل انحاء المدينة وهو يعظم ويتفاقم من فمٍ الى آخر. وكان القوم يدعو بعضهم بعضًا فمنهم من يتحمَّس ومنهم من يرهب عاقبة الحرب لرواج سوق التجارة. وكان الجند الذين انتهوا من الخدمة يسترسلون في الكلام عن وصف الحرب وما حضروهُ في شبابهم من الوقائع الهائلة

وكيف برّزوا فيها فنالوا من الشهرة ما نالوا. وكان بعضهم يخطّون في التراب رسم المعسكرات والخنادق ومصافّ القتال لينشروا ذلك لمن لا خبرة لهم بفنون الحرب.

وحاصل القول انّ في ذلك اليوم عادت لبيروت هيئتها العسكريّة التي كانت عليه قبل ذلك العهد بثمانين سنة لمّا احلّ فيها اوغسطوس قيصر مستعمرةً رومانيّة من الجند الاقدمين الذين شهدوا معامع الحروب في انحاء مملكة القياصرة

على انّ الخبر لم ينفأ ان تخطّى حدود حيّ اليهود فدهمهم كانهُ الصاعقة انقضّت فوق رؤوسهم فتبلبل هدوّ يوم السبت واقشعرّت الابدان. وكنت ترى كثيرين منهم يخفّون الى الكنيس ليخمدوا غضب الله على قومهم بتلاوة مزامير التوبة وقد ذرّوا الرماد على رؤوسهم ولبسوا المسوح واذرفوا الدموع السخينة. وكان بعضهم في هياط ومياط يتجوّلون في الاسواق كأنهم يرون فوق اعناقهم سيف الرومان مجرّدًا ليقطع حبل حياتهم وهم يتذكّرون ما اصاب اهل جلدتهم من النوائب قبل خمس سنوات لمّا ثارت الفتن في مدن الساحل كبطلمايس وغيرها فذهب كثيرون منهم ضحايا المطامع والشحناء. امّا النساء فكانت تُسمع اصوات عويلهنّ وبطلّ بعضهنّ من نوافذ دورهنّ او يَعلون السطوح مكشوفات الوجوه متشعثات الشَعر وهنّ يضربنَ صدورهنّ

وبقيت دار الورود مقفلةً الى قريب من ساعة الظهر كأنّ اهلها لم يشعروا بما شاع خبره في كلّ اطراف البلد. فحينئذٍ انفتح باب المائدة فخرجت يهوديت مستندةً الى ذراع اخيها يوسف. واذا باصوات النحيب بلغت مسامعها. وللحال رأت احدى إمائها المسنّات تُسرع اليها صارخةً:

وا سيّدتي انّ الرومان دخلوا اورشليم وانتهكوا حمى المدينة المقدّسة

فما سمع يوسف هذا الكلام حتى صرخ: «لعنة الله على الرومان». امّا يهوديت فامتُقع لونها وارتعدت فرائصها وسُمع لها انين ضعيف: «وا ابتاه». ثم مالت وسقطت بين ذراعي اخيها

فاسرع اخوها لينعش قواها واجلسها على ديوان ثم دعا سلوانس ناظر عبيده ليسألهُ عن صحّة الخبر. فلمّا تحقّقهُ عاد الى شقيقته ليطيّب قلبها: «لا بأس على ابينا يا أُخيّة فان فِرَق الجنود لم تجتمع بعد في قيسارية ولم يصل طيطس قائدها الى فلسطين. وعليه ليس الخطر كما تظنين ويستطيع ابونا اذا شاء ان يخرج من صهيون ناجيًا بنفسه ولعلّهُ

الآن في الطريق وعمّا قليل نبتهج بعودته. ولا غرو انَّ الاخبار التي بلغتنا اليوم قد سبقت وبلغت اهل اورشليم قبلنا وليس ابونا ممّن يودُّ الاقامة في مدينة يتهدَّدها الحصار. وان شئتِ هاءنذا أُرسل ساعياً الى جهات صيداء وصور ليتنسَّم لنا الاخبار ويستعلم عن امور والدنا . . .

فلمَّا سمعت يهوديت كلام اخيها آبت اليها قواها وصبغت الحمرة خدودها ثانيةً وعاد الابتسام الى ثغرها. ثم اخذت تدافع عن الأُمَّة التي اشاعت هذه الاخبار المقلقة قبل ان تتحقَّقها وكان يوسف يريد ان يكبّلها بالحديد ويضربها بالسياط :

ارحم هذه المسكينة فانَّ الخوف قد اخذ بمجامع قلبها وشوَّش افكارها. أو تريد ان تزيدها وجعاً على وجعها. اني لاعجب منكم أيها الرجال واري قساوة قلوبكم كفظاظة الرومان . . .

— لا تنتصري للرومان يا اختي فانكِ لو عرفتِ حقَّ المعرفة هؤلاء الرومان لما نويتِ لهم خيرًا. على انَّ خبر الحرب لا يخيفني او بالحريّ انهُ يفرح قلبي لاني ارجو عمّا قليل أن نكسر شوكتهم ونذيقهم كأساً امرّ من العلقم تُنسيهم كسرة غالُّوس الشهيرة. ولا غرو انَّ إلهَ ابائنا يحارب معنا اعداء مدينته المقدَّسة. ولكن هلمّي نصعد الى سطح الدار ليفرخ روعكِ ويهدأ قلبكِ وتستنشقي الريح الطيِّبة

قال هذا واخذ بيد اختهِ وصعد كلاهما الى السطح فما استقرَّت عليهِ اقدامهما حتى وقع نظرهما على الحيّ باجمعهِ فرأوا القوم في ذهاب واياب وجلبة الاصوات تتصاعد من كل الأَطراف. ثم هدأَت هذه الاصوات بغتةً وتسارع القوم الى بيوتهم اذ راوا شرذمةً من الجند يجتازون الحيَّ وهم يصرخون: فليحيَ راسيوس

فنظر يوسف ويهوديت من وراء شُرَف الدار واذا بفرسان تقرع خيلهم بلاط الحيِّ ومعهم قائد مئة وضابط. فلمَّا مرُّوا عند دار الورود رفع راسيوس بعينيه لعلَّهُ يرى فيهِ الفتاة التي هام بحبّها. لكنَّهُ لم يرَ فوق سطحها احدًا فاشار بيدهِ الى جدران الدار كانهُ يودعها السلام الاخير. امَّا يهوديت فعرفت الضابط وخُيِّل لها ان قلبها كاد ينفطر لمَّا عرفتهُ وسمعت الفرسان يصرخون ثانيةً :

« ليحيَ الضابط راسيوس »

وكانَّ يهوديت رأت في تلك الساعة بينها وبين الضابط هوَّةً وفي وسط الهوَّة جثَّة

والدها يعقوب مضرَّجة بالدم

وكان يوسف لحظ ايضًا حركة الضابط عند مروره بازاء الدار وشعر بهزَّة في جسم شقيقته المستندة اليه فادرك معنى ذلك وابرقت عينه. لكنهُ ضبط نفسهُ ولم يَفُه ببنت شفة

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Histoire des Institutions monarchiques dans le royaume latin de Jérusalem (1099—1291)
par G. Dodu, Hachette, Paris, 1894, pp. 381

تاريخ الرسوم الملكيَّة في ايَّام الدولة اللَّاتينيَّة الاورشليميَّة

غاية مؤلف هذا الكتاب ان يعرّف نظام هذه الدولة القديمة من حيث نظام جيوشها وماليَّتها وعدليَّتها وترتيبها الكنسي. ولم يكتفِ صاحبهُ بان ينقل ما كتبهُ في ذلك المؤرخون الفرنج بل راجع ايضًا ما سطَّرهُ في هذا الشأن الكتبة الشرقيُّون مستندًا في ذلك الى نصوصهم المترجمة الى اللغات الاوربيَّة ولولا جهلهُ اللغات الشرقيَّة لامكنهُ ان يستفيد كثيرًا مما لم يُنقل بعد الى الألسنة الاجنبيَّة. وبوجه الاجمال قد اصاب المسيو دودو في حكمهِ عن الرسوم الاورشليميَّة وصلاحيَّتها ومنافعها اللهمَّ الَّا ما كتب في فصلهِ السادس عن «الملكيَّة والاكليروس» فقد شطَّ فيهِ بعض الشطوط. ومما نثني فيهِ على المؤلف قولهُ في غُليلموس الصوري واعتبارهُ لتأريخهِ الذي لا يماثلهُ تأريخ آخر في صحَّتهِ ودقَّة نظر كاتبهِ واتساع معارفهِ ه. ل

I Philon le Juif, *par E. Herriot*, Hachette, 1898

تاريخ فيلون اليهودي

II La Poésie alexandrine, *par A. Couat*, *ibidem*, 1892

الشعر الاسكندري

١ ان كتاب المسيو هِرْيوت يحيي لاهل عصرنا ردحةً من الدهر بلغت فيهِ الفلسفة اليونانيَّة مبلغًا عظيمًا وظهرت على صورة جديدة بما دخلها من التعاليم اليهوديَّة

وكان إمام هـذه الفلسفة فيلون اليهودي الشهير الذي بالغ في درس كتب افلاطون واستخلص منها لبابها وحاول ان يوفّق بينها وبين اسفار التوراة المنزلة . وقد ادّى به بحثهُ الى ان زعم انَّ كلَّ ما ورد في الكتب المقدَّسة ضربٌ من الرموز والمجازات لا يُراد بها الّا المذاهب الفلسفيَّة وهذه المذاهب اذا جُرِّدت عن صورتها الخارجيَّة تنطبق على اقوال افلاطون إمام الفلاسفة . وهي مزاعم غريبة ومظانٌّ واهية لو صحَّة لقوَّضت اركان الكتب الالهيَّة ونفت حقيقة اخبارها اذ تجعلها رموزًا لا صحَّة لها غير دلالتها على تعاليم فلسفيَّة بشريَّة . نعم انَّ الكنيسة لا تأبى في شرح الكتب المقدَّسة الرموز والاشارات لكنَّ ذلك بعد اقرارها بصدقها وحقيقتها التاريخيَّة لا كما زعم فيلون . ونأخذ على مؤلف هذا الكتاب انهُ تابع فيلون في اقاويل كثيرة مردودة كنكرانه الوحي واستنادهِ الى العقل والبرهان دون الايمان . ومن ثمَّ نُوعز الى قارئ هذا الكتاب ان يأخذ حذرهُ ممَّا اودعهُ صاحبهُ من الاراء الواهنة

٢ً امَّا الكتاب الثاني فانَّنا نثني عليهِ الثناء التامَّ . ومدارهُ على الشعراء الاسكندريين على عهد البطالسة الثلاثة الاوَّلين . ومؤلفهُ قد احسن درس الكتبة الذين حاول تعريفهم وهو يبيّن بلسان فصيح ما خُصَّ بهِ الشعر الاسكندريّ القديم من المزايا ويسطّر تراجم اصحابهِ ويقابل بينهم وبين من سبقهم من الشعراء منتقدًا عليهم في بعض ما فرط منهم

الاب ل. جلابرت

Lehrbuch der neusyrischen Schrift- u. Umgangssprache von I. Rosenberg, Leipzig 1903, SS. 160

اللغة الكلدانية العاميَّة

انَّ في الممالك المحروسة نحو مئة الف رجل من النصارى واليهود يتكلَّمون حتى اليوم باللغة الكلدانيَّة العاميَّة واكثرهم يعيشون في قرى واقعة بين وان وارمية والموصل . وقد جعل الاوربيُّون يدرسون هذه اللهجة رجاء ان يجدوا فيها بقايا اللغة الارميَّة القديمة . وممَّن انقطع الى درسها حضرة الآباء اللعازريين والمرسلون الاميركان والانكليكان الذين انشأوا في تلك الانحاء اديارًا ومكاتب ومطابع ونشروا فيها عدَّة كتب دينيَّة وعلميَّة بالكلدانيَّة . وقد احبَّ المسيو روزنبرغ ان يؤلف من هذه المنشورات مجموعًا يرجع اليهِ العلماء وقدَّم عليهِ ملخصًا ضمَّنهُ قواعد هذه اللغة من صرفها ونحوها ومصطلحاتها فاجاد واضحى كتابهُ دستورًا لدرس هذه اللغة والوقوف على خفاياها

شذرات

سهو — قد وقع في عددنا الاخير غلط طبعي ذهب ببعض معنى مقالة حضرة الاب زموفن « في المغربات » وذلك ان السطر الاول من الصفحة ٢٨٠ نُقل بالغلط الى رأس الصفحة ٢٨١ . فوجب التنبيه . وعليه فليقرأ هكذا : « الصنف الثاني (او القسم الثاني) من المغربات ما فُقد منها الخواص الكيموية الاصلية التي كانت عليها الخ »

نسخة عبرانية قديمة للتوراة — كنّا قرأنا في بعض المجلّات والجرائد ان الخواجا خليل صبرا المقيم الآن في مصر اكتشف نسخة قديمة لاسفار موسى يرتقي عهدها الى السنة ٧٠٠ قبل المسيح فلم نُعر هذا الخبر بالًا لما فيهِ من الكذب الصريح ثم علمنا بعد ذلك ان هذه النسخة تاريخها سنة ١١٦ هجرية (٧٣٤—٧٣٥ م) وانها في يد جناب الافندي جرجي زيدان يهتمّ بشتراها مدير مكتبة شيكاغو . وهذه النسخة كما ترى ليست قديمة بالنسبة الى النسخ اليونانية التي ترتقي الى القرن الرابع للمسيح لكنَّ في اكتشافها خطرًا كبيرًا لانَّ اقدم نسخة كاملة كان يُعرف تاريخها حتى الآن هي المعروفة بالبابلية (Codex babylonicus) المصونة في خزانة بطرسبرج تاريخها سنة ١٢٢٨ للاسكندر (٩١٦ للمسيح) وُجدت في بلاد القريم . وفي المتحف البريطاني نسخة اخرى غير كاملة تاريخها سنة ٩٠٦ للميلاد

اكتشاف مهم — اكتشف المستشرق الهمام الخوري فرنسيس نو (F. Nau) في مكتبة المتحف البريطاني في لندن رسالة سريانية وجّهها رهبان دير مار مارون نحو سنة ٥٩٢ للمسيح الى اليعاقبة في انطاكية ليدافعوا فيها عن الايمان المستقيم

مجموع تآليف كتبة النصارى الشرقيين — علمنا بمزيد الفرح انَّ المستشرق الشهير الاب يوحنّا شابو ألَّف جمعيَّة من العلماء لينشر مجموع ما كتبهُ قدماء نصارى المشرق بالسريانيَّة والحبشيَّة والقبطيَّة والعربيَّة وقد باشر بالعمل بما يُعهد فيهِ من النشاط والغيرة . ولا تنتهي السنة حتى يبرز من مجموعهِ مجلدان او ثلاثة . وممَّا يُنشر قريبًا بالعربيَّة تاريخ بطاركة الاسكندريَّة لساويرس بن المقفَّع وتاريخ ابن الراهب وتاريخ سعيد بن بطريق وتاريخ جرجس بن المكين المعروف بابن العميد ومصباح الظلمات لابي البركات وسنكسار الكنيسة الاسكندريَّة وكلّ هذه التآليف غاية في الاهميَّة كما ترى . وان احبَّ احد اهل بلادنا ان يشارك الاب شابو في عملهِ

فليخابرهُ رأساً L'abbé J.-B. Chabot, Paris, Claude-Bernard. 47

نصرانيَّة بزر جمهر حكيم الفرس كنَّا اثبتنا في ترجمة بزر جمهر التي قدَّمناها على حِكَمه (راجع الصفحة ٢٠٥) انهُ «قُتل على عهد كسرى ابرويز لمَّا أُتهِمَ بالميل الى التنويَّة». وهو امرٌ رواهُ المسعودي في مروج الذهب. لكنَّ جناب القانونيّ البارع جرجس افندي صفا استلفت انظارنا الى نصّ آخر ورد في الباب الثالث والستين من كتاب سراج الملوك لابي بكر محمَّد الطرطوشي يستناد منهُ انَّ بزر جمهر قتلهُ كسرى انوشروان لانهُ جحد المجوسيَّة ليدين بالنصرانيَّة. وهاك قولهُ بالحرف (طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ ص ١٨٩): «ولمَّا ضرب انوشروان عنق بزر جمهر لمَّا رغب عن دين المجوسيَّة وانتقل الى دين المسيح عليهِ السلام وجد في منطقتهِ كتاباً فيهِ ثلاث كلمات: اذا كان القدر حقًّا فالحِرص باطل. واذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل احد عجز. واذا كان الموت بكل احد نازلاً فالطمأنينة الى الدنيا حمق». فنشكر لجناب الافندي ملاحظتهُ لما فيها من الافادة لتاريخ النصرانيَّة عند قدماء الفرس

اسئلة واجوبة

السجنجل كتب حضرة الاب انستاس الكرملي ما حرفهُ: قد ذيَّل حضرة الاب لويس شيخو ما كتبناهُ عن اصل لفظة السجنجل بفوائد جزيلة العوائد فنشكر لهُ عنا. الَّا انا مع ذلك لا نحاور من دقيق غُبار الانتقاد. قال حرسهُ الله: «لكنَّا نستغرب اشتقاق لفظة السجنجل من كلمة لاتينيَّة مع قلة الألفاظ المأخوذة من هذه اللغة» قلنا: اننا لا ننكر ذلك بل اذا زدنا على هذه القلة لفظة واحدة فلا نكون قد زدنا تلك الألفاظ زيادة مفرطة. ثم ان القول بقلة الألفاظ العربيَّة المأخوذة من اللاتينيَّة هو راي كثيرين من المستشرقين الَّا اننا لا نوافقهم ولو يفسح لنا المشرق محلاً لبيَّنَّا للقرَّاء الكرام عددًا وافرًا من هذه الألفاظ لا يمكن ان تكون مأخوذة من غير اللغة الروميَّة لعدم وجود شبيه لها في سائر اللغات الاعجميَّة ولفقدان اصلها في العربيَّة. وتلك الالفاظ تدلُّ على اثاث البيت وبنائهِ وانواع الثياب الى غير ذلك ممَّا لم يذكرهُ احدٌ قبلنا

وامَّا نقل حرف x المزدوج الى الجيم فقد اوضحنا في بعض المُثُل التي استشهدنا بها انهم قد نقلوها الى القاف والشين والزاء والحال ان هذه الحروف تتعاور مع الجيم

كما يشهد بذلك طائفة من ائمة اللغويين. — واما القول بان سجنجل منقولة عن العبرانيَّة סגלגל (سجَلجَل) فهو والحقّ يقال اصحّ من الذهاب الى اشتقاقها من الروميَّة «لو ثبت وجود اللفظة العبريَّة» فانَّنا لم نجـدها في معجم العلاَّمة جسنيوس الواسع المواد. ولا في المعجم العبري الفرنسي الذي نشرتهُ الشركة الاسرائيليَّة للكتُب الدينيَّة والادبيَّة. ولو فرضنا وجودها في غير هـذين المعجمين بقي ان يُنظَر الى الـ ס في اول مادة גלגל (جاجل). نعم اننا لا ننكر ان هذا الضاعف الرباعي ومثالهُ المضاعف الثلاثي גל يدلُّ على الاستدارة فتكاد تكون هذه المادة واحدة في جميع اللغات وكلها تدل على الاستدارة الَّا ان قواعد اللغات السامية واحكامها تكاد تكون واحدة في جميـع الفروع وعليه فمن اين جاءت السين ס في اول مادة «جَلجَل» وحروف الزيادة لا تُزاد الَّا في الافعال والاسماء المشتقة من تلك الافعال. وليس في الاسماء المشتقة ما يبتدئ بالسين. وعليه فدخول مثل هذه السين على اول الكلمة غريب ومن ثمَّ فاذا ثبت وجود كلمة «سجَلجَل» في العبريَّة فلا تبعد من ان تكون هي ايضاً مشتقة من لفظة اعجميَّة ومن اللغة التي صرَّحنا بها

ثم لو فرضنا انَّ زيادة الـ ס على هذه الكلمة العبريَّة هي من المقيسات (وهو بعيد جدًّا) قلنا: وكيف امكن لهـذا الاعرابي ان يُحسِن التفريق بين قيود اسماء المرآة مع انهُ كان بيد البائع مرايا كثيرة مستديرة ومختلفة الهيـئة ولم يطلق كلمة «سجَنجَل» الَّا على النوع المسدَّس الشكل في الداخل والمستدير في الخارج. والاعرابيُّ اميٌّ. فيبقى هذا السرُّ في مُنتهى الغُمُوض. فاذا اجاب حضرة الاب عن هذه الشكوك سلَّمنا بصحة اشتقاق اللفظة من العبريَّة وفضلنا رأيهُ على رأينا واسلفنا لهُ الشكر

(جواب المشرق) قد اصاب حضرة الاب انستاس بقوله انَّ גל تدلُّ في اللغات الساميَّة على الاستدارة. وان اشتقاق لفظة «السجلجل» من סגלגל اصحّ من اشتقاقها من اللاتينيَّة «sexangulatus» امَّا وجود هذه اللفظة في العبريَّة او بالاحرى في الإرميَّة فامرٌ يقرُّ بهِ العلماء باللغات الساميَّة وقد ذكر اللفظة العلاَّمة فرنكل في الالفاظ الارميَّة الدخيلة في اللغة العربيَّة (ص ٤٧). ثمَّ انَّ السين ס كما لا يخفى من حروف الزيادة التي تدخل على المزيدات الساميَّة فترى وزن «إستفعل» في العربيَّة ووزني ܫܦܥܠ و ܐܫܬܦܥܠ في السريانيَّة ووزن «שפעל» في العبريَّة. بل ترى السين او الشين في مزيد الرباعي المضاعف كما في السريانية ܐܫܬܩܠܒ ويقرب من هذا الوزن في العربيَّة وزن إفعَنلَلَ مثالهُ اقعنسس. فليس اذن من المستغرب ان يكون ضاع وزن «اسجنجل» وبقي منهُ بعض مشتقاتهِ في سَجَنجَل والله اعلم